القرآن وحاجة الإنسانية إليه

د. عبد العزيز صقر

المقدمة

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾(١) والصلاة والسلام على من أرسله الله شاهدا ومبشرا ونذيرا. وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين... وبعد:

فالقرآن الكريم هو كتاب الله الخالد، ومعجزة الرسول الباقية أنزله الله على سيدنا محمد صلى الله علي وسلم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وهو الكتاب المصدق لما سبق والمهيمن عليه. قال تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾(٢).

---

(١) الكهف: ١.

(٢) المائدة: ٤٨.

وهو الكتاب الوحيد من بين سائر كتب الله الذي تكفل الله بحفظه قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1] فلم يصبه ما أصاب الكتب السابقة من التحريف والتغيير وانقطاع السند، فالقرآن الذي قرأه محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس القرآن الذي نقرأه اليوم، والمكتوب بالمصاحف بالرسم العثماني، المنقول إلينا بالتواتر، جيلا بعد جيل. لم يغير منه حرف ولم تبدل منه كلمة. لأن التغير ليس من طبيعته، إذ هو لله، وإنما الذي يتغير هو ما حول القرآن من أفهام الناس وآرائهم واجتهاداتهم.

ولا نطلق الكلمة معرفة «القرآن» إلا على جميعه، أما كلمة «قرآن» مجردة من حرف التعريف، فإنها تطلق على كله وعلى بعضه، فمن الأول قوله تعالى ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾[2].

ومن الثاني قولنا للآية الواحدة منه هذا «قرآن» ولا يصح أن يقال هذا «القرآن» وكما سمي قرآنا، سمي كتابا وفرقانا. لكن لفظ القرآن لم يطلق على غير المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. بخلاف الكتاب والفرقان، فإنهما كما أطلقا على ما أنزل عليه، فقد أطلقا على ما أنزل على غيره. قال تعالى ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾[3].

ونحن حين نتحدث عن القرآن لا نقصد أن نحصي ما كتب حول القرآن، أو نعدد ما دونه العلماء من علومه، أو تفسيره، أو وجوه إعجازه، أو بيان فضائله وأحكامه وآدابه، فإن ذلك ليس في مقدور بشر.

وإنما قصدنا من وراء هذا البحث أن نبين مدى الحاجة إلى القرآن

---

(١) الحجر: ٩.

(٢) الإسراء: ١٠٦.

(٣) البقرة: ٥٣.

الكريم، وأن الإنسانية في ماضيها وحاضرها لا يمكن لها الاستغناء عنه، لأنه هاديها ومرشدها إلى أقوم السبل ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾(١).

وقد طبق المسلمون الأولون القرآن الكريم تطبيقاً عمليا، فكان دستورهم الذي يحتكمون إليه ومنهاج حياتهم ومبعث عزهم وفخرهم، ففتحوا بذلك البلاد ودانت لهم الرقاب، لا بالطغيان ولا بالصولجان، ولكن بتعاليم القرآن، واستطاعوا في فترة وجيزة من الزمن أن يكونوا لهم دولة وأن يبنوا لأنفسهم حضارة وأن ينشروا العلم والمعرفة في أرجاء الأرض، فسعدت بذلك الإنسانية قروناً طويلة.

هذا واقع يصدقه التاريخ ولا ينكره إلا كل جاحد أو مكابر.

واليوم ونحن ننظر إلى أحوال المسلمين بألم وحسرة فنراهم قد تخلفوا عن ركب التقدم والحضارة، وتأخروا كثيراً في ميدان العلم والمعرفة وبينهم وبين غيرهم فجوة حضارية وعلمية هائلة.

ونتساءل ما السبب في هذا التخلف؟ وما السر في هذا الانحدار الذي وصلت إليه الأمة؟ هل هو الإسلام أو تمسكها بالقرآن واحتكامها إليه؟ كلا، إن القرآن ربى أمة وأنشأ حضارة، لأنه هداية الله إلى الناس، فلا يمكن أن يكون سببا في تخلفهم أو شقائهم ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾(٢). هذا هو السبب الحقيقي في الضلال والشقاء كما بينته الآيات.

---

(١) الإسراء: ٩.

(٢) طه: ١٢٣ ـ ١٢٦.

وقد يقول قائل: لا حاجة لنا اليوم إلى القرآن، لأن العلم والعقل يمكن أن يهتدي بهما الإنسان ويعرف طريقه إلى الخير.

ونقول: إن علم البشر وحده لا يصلح أنفس الناس، لأنهم لا يخالفون أهواءهم وشهواتهم الشخصية إلى اتباع آراء أفراد منهم، وإنما يدينون بوازع الفطرة لما هو فوق معارفهم البشرية، وهو ما يأتيهم من ربهم ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى هداية القرآن.

والعقل مهما بلغ من القوة والذكاء ليس إلا حاسة من الحواس التي تربطنا بعالمنا المحدود، له مجاله الذي يعمل فيه، ويدرك حقائق الأشياء في محيطه[1].

إن غاية ما يجنيه العقل من ثمرات بحثه المستقل فيه، بعد معاونة الفطرة السليمة له، هو أن يعلم أن فوق هذا العالم إلها قاهرا دبره، وأنه لم يخلقه باطلا، بل وضعه على مقتضى الحكمة والعدالة، فلا بد أن يعيده مرة أخرى لينال كل عامل جزاء عمله. إن خيرا وإن شرا، هذا كل ما يناله العقل الكامل من أمر الدين، أما القرآن فهو لا يقف من جانبه عند هذه المرحلة، بل نراه يشرح لنا حدود الإيمان مفصلة، ويصف لنا بدء الخلق ونهايته، ويصف الجنة وأنواع نعيمها، والنار وألوان عذابها، كأنهما رأى العين، حتى أنه ليحصي عدد الأبواب وعدد الملائكة الموكلة بتلك الأبواب، فعلى أي نظرية عقلية بنيت هذه المعلومات الحسابية وتلك الأوصاف التحديدية؟[2] إن ذلك مالا يوحي به العقل.

وإذا لم يكن ذلك من وحي العقل، فهو من وحي الله الذي لا يأتيه

(١) انظر الوحي المحمدي: ص ٤٠ وما بعدها وص ٣٥٢ والعلم يدعو للإيمان ـ ص ٢٥، ٢٦.

(٢) نظرات جديدة في القرآن: ص ٤٠.

الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وآخر وحي الله إلى خلقه هو القرآن الكريم، لذلك اخترت هذا العنوان: «القرآن وحاجة الإنسانية إليه» ليكون موضوع البحث. وقد اقتضت منهجية البحث أن أقسمه إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة:

المقدمة: تشمل التعريف بالقرآن وبيان الحاجة إليه.

الفصل الأول: كلمة عامة عن حال العالم قبل نزول القرآن ومقارنة ذلك بما عليه العالم اليوم من قرب أو بعد بالنسبة للقرآن.

الفصل الثاني: الحاجة إلى القرآن في مجال العقيدة.

الفصل الثالث: الحاجة إلى القرآن في مجال التشريع.

الفصل الرابع: الحاجة إلى القرآن في مجال الأخلاق.

ثم ذكر خلاصة موجزة لهذا البحث

ونحن لا نيأس من العودة مرة أخرى إلى القرآن ليكون دستور حياتنا ومنهاج سلوكنا. وأن نحتكم إليه في كل ما يعرض لنا من مشكلات، وما يواجهنا في مسيرتنا من عقبات، وما يصيبنا في حياتنا من أمراض اجتماعية أو خلقية.. عند ذلك نجد فيه الحل الشامل والدواء الشافي لكل الأمراض.

وكما صلح أول الأمة بالقرآن، فإنه لا يصلحها في حاضرها ومستقبلها إلا القرآن، والله نسأل أن ينفعنا بالقرآن، وأن يشرح صدورنا للقرآن، وأن يسدد على طريق الخير خطانا، وأن يلهمنا الرشد والصواب، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنبت.. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

الفصل الأول
وصف عام لحال العالم قبل نزول القرآن

إن نظرة عامة إلى حال العالم قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقبل نزول القرآن الكريم تكشف لنا عن مدى الحيرة والضلال الذي كان يسود العالم بصفة عامة، والجزيرة العربية بصفة خاصة. من ضلال في العقيدة وفساد في الفطرة، وابتعاد عن الديانات الموروثة من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، حتى الديانتين السابقتين على الإسلام: اليهودية والمسيحية. فقد انحرف أتباع الديانتين فأدخلوا عليهما ما ليس منهما.

فاليهود على حفظهم لأصل عقيدة التوحيد، قد غلب عليهم التشبيه، وغاب عنهم أن يجمعوا بين النصوص المتشابهة في صفات الله وبين عقيدة التنزيه، فقد جعلوا الله كالإنسان، يتعب ويندم على ما فعل، كخلقه الإنسان، لأنه لم يكن يعلم أنه سيكون مثله أو مثل الآلهة. وزعموا أنه كان يظهر في شكل الإنسان حتى إنه صارع إسرائيل، ولم يقدر على التفلت منه حتى باركه فأطلقه وعبدوا بعلا وغيره من الأصنام.

والنصارى جددوا من عهد قسطنطين الوثنيات القديمة، واتخذوا المسيح ربا وإلها، وعبدوا القديسين وصورهم، حتى صارت كنائس النصارى كهياكل الوثنية الأولى، مملوءة بالصور والتماثيل المعبودة، على أن عقيدة التثليث والصلب والفداء التي جعلوها أساس الدين، بل الدين كله، هي عقيدة الهنود في جملتها وتفصيلها، وهي مدعومة بفلسفة خيالية غير معقولة، وبنظام يقوم بتنفيذه الملوك والقياصرة، وتبذل في سبيله القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، ويربى عليه الأحداث في الصغر تربية وجدانية خيالية لا تقبل حجة ولا برهانا، فغمر الشرك بالله هذه الأرض بطوفانه، وطغت الوثنية على أهلها(١).

---

(١) الوحي المحمدي: ص ١٦٩، وانظر سفر التكوين.

وقد وقع بين النصارى شقاق رهيب في طبيعة المسيح، ووصفه، ووضع أمه من الإله الكبير، وقد أثار هذا الخلاف بينهم الحروب المهلكة وقسمهم فرقا وأحزابا يلعن بعضها بعضا(١).

ومن أشهر هذه الفرق: اليعقوبية، وكانت منتشرة في مصر والنوبة والحبشة، والنسطورية: وكانت منتشرة في الموصل والعراق وفارس، والملكانية: وكانت منتشرة في بلاد الغرب وصقلية والأندلس والشام.

فاليعقوبية: كانوا يرون: أن المسيح هو الله، وأن الله والإنسان اتحدا في طبيعة واحدة هي المسيح.

والملكانية والنسطورية: قالوا: إن للمسيح طبيعتين متميزتين: الطبيعة اللاهوتية، والطبيعة الناسوتية. وإن اختلفت الطائفتان فيما عدا ذلك من التفاصيل(٢).

وإذا حدث هذا بالنسبة لأهل الكتاب «اليهود والنصارى» فانحراف غيرهم ممن لا يدينون بدين سماوي يكون أشد وأعظم.

وإذا تركنا أهل الكتاب وما وقعوا فيه من شرك وضلال في أصل العقيدة وانتقلنا إلى الفرس. نجد أنهم أسوأ حالاً من غيرهم في هذه الناحية.

فقد فتنوا بالمظاهر الطبيعية من السماء الصافية، والضوء، والنار، والهواء.

والماء ينزل من السماء، كل هذه المظاهر جذبت أنظارهم وجعلتهم يعبدونها على أنها كائنات إلهية، كما أن الجدب والظلمة ونحوهما: كائنات إلهية شريرة ملعونة. ووقفوا أمام آلهة الخير يستمدون منهم المعونة ويسبحون بحمدهم ويقدمون لها الضحايا، كما اعتقدوا أن آلهة الخير في نزاع دائم مع

---

(١) فقه السيرة للغزالي: ص ٦٤ ـ ٦٥. والوحي المحمدي: ص ١٧٠.

(٢) فجر الإسلام: للأستاذ أحمد أمين: ص ٩٩.

آلهة الشر، وأن أعمال الإنسان من صلاة ونحوها تعين آلهة الخير في منازلتها آلهة الشر، واتخذوا النار رمزا لآلهة الخير يشعلونها في معابدهم، وينفخونها بإمدادهم حتى تقوى على آلهة الشر وتنتصر عليها.

كما كانوا ينظرون إلى ملوكهم كأنهم كائنات إلهية اصطفاهم الله للحكم بين الناس، وخصهم بالسعادة وأيدهم بروح من عنده، فهم ظل الله في أرضه. أقامهم على مصالح عباده، وليس للناس قبلهم حقوق، وللملوك على الناس السمع والطاعة[١].

أما بلاد العرب، فقد تعددت فيها الديانات، واختلفت اختلافاً متبايناً وتأثرت عادة بما جاورها من البلاد، ذكر اليعقوبي «أن أديان العرب كانت مختلفة بالمجاورات لأهل الملل والانتقال إلى البلدان والاتجاهات»[٢].

وقد أخذ الغرب عن الأمم التي اتصلوا بها كثيرا من آلهتها ومعتقداتها مثل اليهودية، والمسيحية، والمجوسية، والصابئة، والوثنية، التي كانت العامة والغالبة في شبه الجزيرة العربية.

وقد نزع العرب إلى تكريم الحجارة المقدسة، أو المؤلهة ـ كما يقول بعض المؤرخين، تكريماً لا يختص بقبيلة دون أخرى، ولا ينفرد به بلد دون آخر[٣].

وكانت الحجارة التي تكرمها القبائل مأخوذة من أصل الحرم المكي، وفي ذلك يقول ابن هشام عن ابن اسحاق «ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل: أنه لا يظعن منهم ظاعن من مكة، حينما ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيما

---

(١) فجر الإسلام: ٩٩ وما بعدها.

(٢) تاريخ اليعقوبي: جـ ١ ص ٢١١.

(٣) الاشتقاق لابن دريد: ص ٤٦.

للحرم. فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة، حتى بلغ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم»(١).

والحجارة التي كانوا يعبدونها نوعان:

النوع الأول: هو الحجارة المحمولة أو المنقولة.

النوع الثاني: هو الحجارة الثابتة التي لا تزحزح من مكانها كالمعابد الخاصة.

ويقال لكل صنم من حجر أو غيره: صنم، ولا يقال: وثن، إلا لما كان من غير صخرة: كالنحاس ونحوه، وكان عمرو بن لحى حين غلبت خزاعة على البيت ونفث جرهم عن مكة، قد جعلته العرب ربا، لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شرعة، لأنه كان يطعم، الطعام ويكسو الناس في الموسم، فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة، وكَسَا عشرة آلاف حلة. وهو أول من أدخل الأصنام في الحرم، وحمل الناس على عبادتها(٢).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار، كان أول من سيب السوائب» وعن أحمد عن أبي هريرة بزيادة (وبحر البحيرة) وانظر تفسير ابن كثير جـ ٢.

وكان أول من غير دين إسماعيل عليه السلام، فنصب الأوثان وسيب السائبة، ووصل الوصيلة، وبحر البحيرة، وحمى الحامي(٣).

---

(١) سيرة ابن هشام: ٥١.

(٢) الروض الأنف: جـ ١ ص ٣٥٧.

(٣) الأصنام للكلبي، تحقيق أحمد زكي: ص ٨.

وقد أبطل القرآن هذه المعتقدات الفاسدة، وبين في وضوح أن هذا افتراء وكذب. فقال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾(١).

قال ابن هشام «حدثني بعض أهل العلم: أن عمرو بن لحى خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره. فلما قدم مآب من أرض البلقاء وبها يومئذ العماليق رآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدونها؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا. ونستنصرها فتنصرنا. فقال لهم: ألا تعطوني صنماً فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه؟ فأعطوه صنما يقال له: (هبل)، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه»(٢).

من هذا نعلم أن عبادة الأصنام لم تكن قاصرة على العرب فحسب، وإنما كانت العبادة السائدة حينذاك في معظم البلدان المجاورة، وهذا يؤيد ما ذكره اليعقوبي من أن أديان العرب كانت مختلفة بالمجاورات لأهل الملل والانتقال إلى البلدان، وهبل هذا هو الذي كان يفخر به أبو سفيان يوم أحد.

وعن أبي رجاء العطاردي: قال: «كنا في الجاهلية إذا لم نجد حجرا جمعنا حليثة من التراب وجئنا بالشاة فحلبناها عليه ثم طفنا بها»(٣).

إلى هذ الحد بلغ تعلقهم بالأصنام. وأصبحت عبادتها جزءاً من حياتهم بل بلغ بهم الأمر من تعظيمهم للأصنام واعتقادهم فيها أن اتخذ أهل كل دار من مكة صنماً في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به، وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به كذلك.

وكان الحارث بن قيس: من بني سهم، إذا وجد حجرا أحسن من

---

(١) المائدة: ١٠٣.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: جـ ٢ ص ١٨٨.

(٣) المصدر السابق.

حجر أخذه فعبده[1]. ويصدق عليه قول الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾[2].

ومن أشهر الأصنام عند العرب: إساف ونائله «قيل: إنهما رجل وامرأة، من جرهم، وأن إسافا وقع عليها في الكعبة، فمسخا حجرين، فأخرجا إلى الصفا والمروة فنصبا عليهما، ليكونا عبرة وعظة، فلما كان عمرو بن لحى نقهلما إلى الكعبة، ونصبهما على زمزم، فطاف الناس بالكعبة وبهما، حتى عبدا من دون الله»[3].

وذكر المسعودي: (أن إسافا ونائلة حجران نحتا ومثلا بالفاجرين)[4].

وهذا الرأي الذي ذكره المسعودي أقرب إلى الصواب. وقد تحرج الأنصار من الطواف بين الصفا والمروة بعد الإسلام مخافة أن يفعلوا عملاً من أعمال الجاهلية، لوجود الصنمين عليهما. فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[5].

ومن أقدم الأصنام وأشهرها عند العرب: مناة واللات، والعزى. وكانوا يقولون: إنها بنات الله، وهن يشفعن إليه، فلما نزل القرآن أنكر عليهم ذلك أشد الإنكار فقال تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى

---

(١) الاشتقاق: ص ١٢٢.

(٢) الجاثية: ٢٣.

(٣) الروض الأنف: جـ ١ ص ٣٦٤.

(٤) مروج الذهب: جـ ٢ ص ٥٠.

(٥) البقرة: ١٥٨.

ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

ولم تقتصر عبادة العرب على تلك الأصنام، بل عبدوا غيرها مما نقل عن غيرهم، وكان أشهرها ما عرف عند قوم نوح عليه السلام[2]. وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾[3].

ذكر البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعده، وهي أسماء قوم صالحين من قوم نوح»، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسونها أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنوسخ العلم عبدت»[4].

والعرب الذين بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له. قالوا في سخرية وتعجب ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾[5].

ويعنون بالآلهة الأصنام التي كانوا يعبدونها . وليس ذلك بالأمر

---

(١) النجم: ١٩ ـ ٢٣.

(٢) معجم البلدان لياقوت: ص ١٧٠.

(٣) نوح: ٢١ ـ ٢٤.

(٤) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٤٢٧.

(٥) ص: من ٤ ـ ٧.

المستغرب على هؤلاء الكفار، فقد سبقهم إلى جرمهم هذا الطغاة في كل عصر والظالمون في كل زمان، ومع كل رسول يدعوهم إلى الله قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾[1].

وكان لقضاعة ولخم وخزام وعاملة وغطفان وأهل الشام صنم يقال له الأقيصر. وكانوا يحجون إليه ويحلقون رؤوسهم عنده»[2].

ومن الأصنام التي كانت موجودة وجاء ذكرها في القرآن الكريم (آزر)، وكان تارح أبو سيدنا إبراهيم سادنا له. عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر، وإنما كان اسمه تارحا، وقال مجاهد والسدى: آزر اسم صنم، وقال ابن كثير: كأنه غلب عليه آزر لخدمته ذلك الصنم»[3].

ومن الأصنام (الإلالهة) هكذا في سائر نسخ القاموس، والصحيح بهذا المعنى الآلهة بصيغ الجمع.

وبه قرىء قوله تعالى ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾[4]. وهي القراءة المشهورة. قال الجوهري: وإنما سميت الآلهة الأصنام، لأنهم اعتقدوا أن العبادة تحق لها وأسماؤهم تتبع اعتقاداتهم لا ما عليه الشيء في نفسه[5].

ومن الأصنام القديمة التي عبدها العرب وجاء ذكرها في القرآن الكريم (بعل) وهو اسم صنم كان لقوم إلياس عليه السلام.قال تعالى:﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ

---

(١) الذاريات: ٥٢ ـ ٥٣.

(٢) معجم البلدان: ص ٢٣٨.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير: المجلد الأول: ص ٥٩١.

(٤) الأعراف: ١٢٧.

(٥) الأصنام: ص ١٧.. مقدمة المحقق نقلا عن تاج العروس.

﴿ ١٢٥ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ١٢٦ ﴾[1].

قال مجاهد في تفسير الآية: «أي أتدعون إلها سوى الله، وقال الراغب وسمى العرب معبودهم الذين يتقربون به إلى الله بعلا لاعتقادهم الاستعلاء فيه»[2]. وليس هذا كل ما كان عند العرب من الأصنام والأوثان والإرث القديم من العادات السيئة والضلال المبين. وإنما هو قليل من كثير مما يصور لنا الحال التي كانوا عليها.

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ١٤٠ ﴾[3].

نعم: إن هذا الضلال في العقيدة قد سد على العربي كل منافذ التفكير وحجب عنه الآفاق التي لم يطمع يوما إلى مد بصره إليها، سواء في عالم الأخلاق والضمائر، أو في عالم السياسة والاجتماع والاقتصاد. فقد طغت الوثنية على كل مرافق الحياة وشدت العربي شدا إلى الأرض. حتى وجدناه لا يطمئن في حله وترحاله، إلا أن تكون إلى جواره قطعة من حجر يعبدها ويتمسح بها ويتقرب إليها.

إن هذا الاعتقاد شد أبصارهم إلى أسفل وربط على أعينهم، فلم يعودوا يطمعون إلى ما وراء مواضع أقدامهم، أو يتفكرون بما يمكن أن يكون وراء جدران الآلهة والمعابد والأوثان، أي أنه جهد عقولهم وقدرتهم على التأمل العقلي والتفكير الدائم والتعلم الصحيح، كما حجب أرواحهم ومطامحهم

---

(١) الصافات: ١٢٣ ـ ١٢٦.

(٢) الأصنام: ١٠٨. وانظر تفسير الآية من ابن كثير جـ ٤ ص ٢١.

(٣) الأنعام: ١٤٠.

الأخلاقية الكبرى وسحق الكثير من قيمهم الإنسانية، حتى شل قدرتهم على الحركة في شتى ميادين الحياة. ابتداء من أعماق النفس والفكر والضمير، وانتهاء بأطراف الأرض، مروراً بالعوالم السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وجاء الإسلام، فتهاوت جدران الوثنية، وتساقط الأرباب، وتفتت حجارتها الصماء تحت الأقدام المتحركة صوب أهدافها الكبرى وفتح المسلمون أعينهم، فإذا بالسد الذي حجب عنهم الرؤية والحركة قد انزاح، وامتد الطريق أمامهم مستقيما واضحا، وخرج المسلم من الصحراء لكي يصوغ حضارته الجديدة وعلمه الذي أشعلته في ذهنه فتيلة الإيمان. وانطلق إلى العالم مع إخوانه يحمل تعاليم القرآن وهدى الرسول الكريم تثبيتا لمفاهيم التوحيد في كل مكان ونشرا للعدل والمساواة في كل أرض وتفجيراً للطاقات الحضارية والعلم الصحيح(١).

ونتساءل هنا: من فتح أمامهم هذا الطريق؟ ومن كشف تلك الغشاوة التي غطت العيون والأبصار؟ ومن فجر تلك الطاقات؟ ومن أيقظ هذا العقل؟ ومن حرك هذا الوجدان؟

أو بعبارة موجزة: من صاغ هذا الإنسان الجديد؟

إنه القرآن الذي أحيا الله به القلوب بعد موتها ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾(٢).

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾(٣).

---

(١) تهافت العلمانية: ص ٤٠ وما بعدها بتصرف.

(٢) الأنعام: ١٢٢.

(٣) الأنعام: ١٥٣.

وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١﴾(١).

وقد صور ابن القيم حالة العالم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقبل نزول القرآن في عبارة موجزة وهو يعرض لذكر أسماء الرسول ومنها: الماحي يقول «فالماحي الذي محا الله به الكفر، ولم يمح الكفر بأحد من الخلق ما محى بالنبي صلى الله عليه وسلم، فإنه بعث وأهل الأرض كلهم كفار، إلا بقايا من أهل الكتاب، وهم ما بين عباد أوثان، ويهود مغضوب عليهم، ونصارى ضالين وصابئة دهرية لا يعرفون ربا ولا معادا، وبين عباد الكواكب وعباد النار، وفلاسفة لا يعرفون شرائع الأنبياء ولا يقرون بها، فمحا الله سبحانه برسوله ذلك حتى ظهر دين الله على كل دين، وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار، وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار»(٢).

إن الفئة القليلة من أهل الكتاب التي سارعت إلى اتباع الرسول والإيمان بالقرآن: هي الفئة التي كان عندها بقية من هداية السماء، وكانت تنتظر أن يأتي هذا الرسول المكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، فلما جاءهم هذا الرسول آمنوا به، وكانوا بهذا الموقف منصفين لأنفسهم ولغيرهم، ولقد اعترف القرآن الكريم لهم بهذا الموقف الكريم.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٤٧﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ

---

(١) إبراهيم: ١٠.

(٢) زاد المعاد: المجلد الأول: ص ٢٣.

(٣) العنكبوت: ٤٧.

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾(٢). وغير ذلك من الآيات كثير. التي تكشف عن خيانتهم لكل العهود والمواثيق التي أخذت عليهم وهؤلاء المعنيون (بالمغضوب عليهم والضالين).

أما عرب الجزيرة، فلم يقتصر أمرهم على الشرك بالله واتخاذ الأصنام والأوثان، بل كانت هنالك فوضى **في كل المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية**. وقد صور تلك الحالة جعفر بن أبي طالب أكمل تصوير حين سأله النجاشي: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا دين أحد من هذه الملل؟.

فقال له جعفر: «أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه، من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا

---

(١) البقرة: ٨٩.
(٢) البقرة: ١٠٩.

نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ـ وعدد عليه أمور الإسلام ـ فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله. فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا.

فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك.. فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

فقال له جعفر: نعم. فقال له النجاشي: فاقرأه علي. فقرأ عليه صدرا من (سورة مريم) فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى خضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم.

ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة. ثم قال لوفد قريش: انطلقا. فلا والله لا أسلهم إليكما ولا يكادون»[١].

عن أم سلمة بنت أمية بن المغيرة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث طويل.

هذا وصف لحال العالم بصفة عامة والجزيرة العربية بصفة خاصة قبل نزول القرآن.

وجاء القرآن لكي ينفي ما علق بأذهان الناس من الأوهام والخرافات والبدع والمنكرات التي أفسدت حياة الناس فجمدت عقولهم عن التفكير وحصرتهم في نطاق ضيق من عبادة حجر أو صنم، ومن تعظيم للصور والتماثيل

(١) تهذيب سيرة ابن هشام: للأستاذ عبد السلام هارون : ص ٩٥ وما بعدها. وأنظر فقه السيرة، وفجر الاسلام، والبداية والنهاية لابن كثير مع اختلاف يسير في اللفظ.

أو التعويل على المعبد والكاهن في كل صغيرة أو كبيرة من شعائر العبادة.

جاء بالعقيدة الشاملة التي تجمع بين مطالب الروح ومطالب الجسد وترتقي بالإنسان إلى حيث أريد له من الكرامة والرفعة، ليكون أهلاً للخلافة في الأرض، وهذا هو السر في تحول كثير من الأمم والشعوب عن عقائدهم إلى عقيدة الإسلام.

يقول العقاد[1]: «وشمول العقيدة الإسلامية هو الذي حقق للإسلام مالم يتحقق لعقيدة غيره من تحويل الأمم العريقة التي تدين بالكتب المقدسة إلى الإيمان به عن طواعية واختيار. كما آمنت به بعض الأمم المسيحية والمجوسية والبرهمية في مصر وسوريا وفارس والهند والصين».

«وإنما تفضل الديانة سواها بمقدار شمولها لمطالب الروح وارتقاء عقائدها وشعائرها في آفاق العقل والضمير، وكذلك كانت الديانة الإسلامية ـ التي جاء بها القرآن ـ ملة لا تفضلها ملة في شمول حقائقها وخلوص عباداتها وشعائرها من شوائب الملل الغابرة»[2].

إن القرآن الكريم رسم للناس المنهاج القويم الذي يكفل لهم سبقاً عظيماً وتقدما حضاريا كبيرا. إذا هم التزموا به وطبقوه تطبيقاً عملياً صحيحاً. قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾[3].

ونحن إذا نظرنا إلى واقع العالم اليوم، نجد أن الذين لا يدينون بالإسلام ولا يؤمنون بالقرآن هم الذين يمسكون بزمام الأمور، ويتحكمون في مقدرات العالم ويملكون كل وسائل التقدم والرقي والرفاهية. وهذا ما أغرى الكثير من أتباع الإسلام إلى الافتتان بهم والسير في ركابهم والصاق التهم

(١) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه: ص ١٧ .

(٢) المصدر السابق: ١٦.

(٣) طه: ١٢٣.

بالإسلام والمسلمين لتخلفهم عن ركب التقدم والحضارة زاعمين أن ذلك التخلف والتأخر سببهما الإسلام.

ونقول ابتداء لهؤلاء:

«لا يصح أن تقاس حضارة الإنسان بمقدار ما يتوصل إليه من تقدم في ابتكار الوسائل المادية التي تخدم الجسد وتحقق لذاته، ومتعه، وراحته، وقوته، واختصار الزمن له، وتقريب المسافات.

ذلك لون من ألوان الحضارة يتناول جانباً من جوانب النشاط الإنساني، وهو الجانب المادي، ولا يرتقي هذاالنشاط المادي في سلم الخير ما لم يرافقه تقدم حضاري اجتماعي ونفسي وفكري، ضمن الأسس الدينية الربانية، وكثيراً ما تصاب الإنسانية بويلات جسام نتيجة لسبق حضاري مادي مجرد عن حضارة خلقية وروحية. فيكون هذا السبق المادي وسيلة للطغيان وخراب العمران، والإفساد في الأرض»[1].

وقد قص علينا القرآن الكريم طرفاً من سيرة أقوام بلغوا شأوا بعيدا في التقدم والحضارة، لم تسبقهم إليه أمة من الأمم. ولكن غلب عليهم الطغيان والإفساد في الأرض، فأهلكهم الله وخرب ديارهم، وأصبحت أثرا بعد عين..

نقرأ قوله تعالى في سورة الفجر:﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾[2].

صحيح أن الإنسان في هذا العصر قد حقق سبقاً حضارياً هائلاً،

---

(١) أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها: ص ١٧.

(٢) الفجر: ٦ ـ ١٤.

وتقدما علمياً رائعاً حتى اتسم هذا العصر بعصر العلم والتقدم.

ولكن، هل حقق إنسان هذا العصر السعادة والاطمئنان النفسي له وللإنسانية بصفة عامة؟.

الجواب على هذا السؤال يكون بالنفي بشهادة الواقع والتاريخ، فالحروب والمظالم التي يعاني منها العالم اليوم خير شاهد على ذلك. وما ينفق على آلات الحرب والفتك والدمار أكبر بكثير مما ينفق في إسعاد البشر وراحتهم وتخفيف الآلام عن كاهلهم.

وأن هذا التقدم الحضاري لم يستطع أن يعالج الأمراض الخلقية والاجتماعية التي تفشت بشكل مخيف في جسم الإنسانية حتى في أرقى شعوب الأمم تقدما وحضارة.

ولا علاج لتلك الأدواء وهذه الأمراض إلا بالرجوع إلى القرآن، فهو وحده الشفاء من كل داء.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[1].

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[2]. وقال: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[3].

إن الإسلام أعظم مواريث العالم، وإن كتابة الحصن الحصين للوحي

---

(١) المائدة: ١٥ ـ ١٦. (٢) يونس: ٥٧. (٣) المائدة: ٥٠.

الإلهي كله من بدء التاريخ إلى قيام الساعة، ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[(1)].
وإن أمته بولائها له وعملها به خير أمة أخرجت للناس، وإن هذا الدين خط مجراه في أديم الأرض. وغالب الجنادل التي اعترضته، ومضى في طريقه شديد البأس. ولايزال موار العباب، قديراً على المضي إلى غايته، وأسباب البقاء تكمن في الرباط الوثيق بالقرآن الكريم، والعودة إليه كلما أبعدتنا موجة عاتية عنه[(2)].

ونقول أخيراً: لا يمكن أن نحكم على الإسلام من خلال النظر إلى واقع المسلمين اليوم، فإن هذا الواقع أليم، لقد تفرق المسلمون شيعاً وأحزاباً وأصبحوا أمما بعد أن كانوا أمة واحدة ـ يضرب بعضهم رقاب بعض ويستحل الواحد منهم مال أخيه، بل دمه وعرضه، **وأهملوا تعاليم القرآن في مجال السياسة والحكم والاقتصاد والاجتماع**، وأعمال العقل. والبحث والنظر والأخذ بأسباب العلم والتقدم، فتأخروا عن ركب الحضارة وأصبحوا عالة على غيرهم بعد أن كانوا سادة العالم وقادة الشعوب وليس ذلك بسبب الإسلام أو تمسكهم بالقرآن، بل السبب الوحيد هو الابتعاد عن القرآن وإهمال تعاليم الإسلام.

لقد حث القرآن على تحريك العقل في كثير من الآيات لأنه المفتاح الذي منحه الله لبني آدم ليقتحموا به أبواب الملكوت ويدخلوا ساحة الإيمان بالله الذي سخر لهم ما في السماوات والأرض ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾[(3)]. وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾[(4)].

---

(١) البقرة: ٢.
(٢) المحاور الخمسة للقرآن، الشيخ الغزالي: ص ١٤٢ ـ ١٤٣.
(٣) العنكبوت: ٤٣.
(٤) الحج: ٤٦.

لقد ظهر الإسلام في إبان دولة الكهانة والمراسم، وواجه أناساً من الوثنيين أو من أهل الكتاب الذين صارت بهم تقاليد الجمود إلى حالة كحالة الوثنية في تعظيم الصور والتماثيل والتعويل على المعبد والكاهن في كل صغيرة وكبيرة من شعائر العبادة»[1]. واستطاع الإسلام بكتابة أن يحول تلك الشعوب إلى رحابه ويدخلهم في ساحته.

وبفضل هذا القرآن. استطاع المسلمون أن يصمدوا أمام الغزوات والضربات الموجعة التي وجهت إليهم على مر العصور والأزمان، وما ذلك إلا بفضل تمسكهم بالقرآن ورجوعهم إليه في كل أمر من أمورهم، **ولن يعود لهم مجدهم الذي فقدوه وعزتهم التي حرموا منها إلا إذا عادوا إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم.**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[2]

إنه الدين العام الشامل الذي يشمل الأمم الإنسانية جميعاً، كما تشمل عقيدته النفس والإنسانية بجملتها من عقل وروح وضمير.

ولا يوجد في الأرض دين عام كامل صحيح ثابت إلا دين الإسلام الصالح لكل زمان ومكان، كما لا يوجد كتاب سماوي خالد صحيح محفوظ من التحريف والتغيير إلا القرآن. الذي جاء بالحق والعدل والمساواة التي تعطي لكل شعب وكل فرد حقه، فيه وحده يمكن البرء من الأدواء كلها على اختلاف أنواعها.

---

(١) الإسلام في القرن العشرين: ص ٢٣.

(٢) الأنفال: ٢٤.

الفصل الثاني
الحاجة إلى القرآن في مجال العقيدة

العقيدة: «ما انعقد عليه القلب، وتمسك به، وتعذر تحويله عنه، لا فرق في ذلك بين ما كان راجعاً إلى تقليد أو وهم، وما كان راجعاً إلى دليل عقلي»(١).

وفي اصطلاح المتكلمين: «التصديق الجازم المطابق للواقع الناشيء عن دليل» وهي الجانب النظري الذي يطلب الإيمان به أولا وقبل كل شيء إيماناً لا يرقي إليه شك ولا تؤثر فيه شبهة»(٢).

وقد عبر عنها القرآن بالإيمان. كما عبر عن الشريعة بالعمل الصالح في كثير من آياته مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾(٣) ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾(٤) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾(٥).

والعقيدة والشريعة في الإسلام مثلا زمتان لا تنفرد إحداهما عن الأخرى والعقائد الأساسية في الإسلام يجمعها قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾(٦).

---

(١) محاضرات في التوحيد للشيخ علي حسب الله ـ ط ـ القاهرة ١٩٥٢.

(٢) الإسلام عقيدة وشريعة: ص ١٢.

(٣) الكهف: ١٠٧

(٤) النحل: ٩٧.

(٥) الأحقاف: ١٣.

(٦) البقرة: ١٧٧.

وهي عقائد كل دين سماوي، فالأديان التي لا تبنى عليها ـ أديان باطلة، ولا وزن لها في حكم الإسلام.

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾[1] ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾﴾[2].

وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[3].

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾[4].

فتوحيد الله هو أصل الأصول لا يجهله مسلم أيا كان جنسه أو لونه، أو طبقته أو حظه من التعلم، فقد عرف من كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» أن لا مكان في الإسلام لتأليه بشر أو حجر أو شيء في الأرض أو في السماء، بل الله من في السماوات ومن في الأرض»[5].

من أجل هذا أمر الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يدعو

---

(١) الشورى: ١٣.

(٢) النساء: ١٦٣.

(٣) الأنبياء: ٢٥.

(٤) البقرة: ١٣٦.

(٥) الخصائص العامة للإسلام ـ د/ القرضاوي.

أهل الكتاب الذين انحرفوا عن هذه العقيدة الحقة «﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًۭٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًۭا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[1].

إن هذه العقيدة تمتاز بالصفاء والنقاء والبعد عن التعقيد. وتتقبلها الفطر السليمة ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًۭا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2].

وقد صرح كثير من العلماء الغربيين بأن سهولة فهم هذه العقيدة وموافقتها للعقل والفطرة هما السبب الأكبر لقبول الأمم لها وانهزام النصرانية أمامها[3].

وتتفرد العقيدة الإسلامية من بين سائر العقائد بأنها عقيدة شاملة «فهي توحي إلى الإنسان أنه كل شامل فيستريح من فصام العقائد التي تشطر السريرة شطرين ثم تيعا بالجمع بين الشطرين على وفاق»[4]. إنها تلبي مطالب الروح كما تلبي مطالب الجسد فلا يكون المسلم مسلماً لأنه روح تنكر الجسد، أو لأنه جسد ينكر الروح، ولا يكون مسلماً وهو يطلب الآخرة دون الدنيا، كما لا يكون مسلماً وهو يطلب الدنيا دون الآخرة.

وهذه العقيدة الشاملة هي التي أفردت الإسلام بمزية لم تعهد في دين آخر من الأديان الكتابية «فإن تاريخ التحول إلى هذه الأديان لم يسجل لنا قط تحولا إجماعيا إليها من دين كتابي آخر بمحض الرضى والاقتناع إذ كان

---

(١) آل عمران: ٦٤.

(٢) الروم: ٣٠.

(٣) الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا: ص ١٧٤.

(٤) الإسلام في القرن العشرين، العقاد: ص ٢٢.

المتحولون إلى المسيحية أو اليهودية قبلها في أول نشأتها، إما وثنية على الفطرة، لا تدين بكتاب، ولم تعرف قبل ذلك عقيدة التوحيد أو الإله الخالق المحيط بكل شيء، ولم يحدث قط في أمة من الأمم ذات الحضارة العريقة أنها تركت عقيدتها لتتحول إلى دين كتابي غير الإسلام»[1].

قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾[2] ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[3]. ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾[4]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[5].

وحين يتحدث القرآن عن الله يتخذ اسلوبا سهلا قريباً من الفطرة سريعاً إلى العقل بعيداً عن الغموض والتعقيد، مفعماً بالوضوح والإشراق.

نقرأ هذه الآيات:

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

---

(١) الإسلام في القرن العشرين، العقاد: ص ٣٤.
(٢) القصص: ٧٧.
(٣) الأعراف: ٣٢.
(٤) الملك: ١٥.
(٥) البقرة: ١٦٨ ـ ١٦٩.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1].

﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[2] ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[3].

وهذا هو السر الحقيقي في تحول الأمم والشعوب إلى هذا الدين، وانتشاره بين شعوب الأرض بسرعة مذهلة لم يُعهد لها مثيل في تاريخ الأديان، وهذه السرعة وهذا التحول أشبه بالثورة التي حررت العقل البشري والإرادة الإنسانية من رق المنتحلين لأنفسهم صفة الربوبية، أو النيابة عن الرب الخالق تعالى، في التحكم والهيمنة والسيطرة على قلوب الناس وعقولهم، وما كان ذلك ليحدث إلا بالقرآن. الذي اقتلع من العالم الإنساني ما دنس فطرته من رجس الشرك والوثنية، وما أفسد عقله وذهب باستقلال فكره من البدع والتقاليد والأوهام والخرافات التي أحالت توحيد الأنبياء السابقين سركا، وحقهم باطلا، وهدا يتهم غواية، مثل هذه الثورة الإنسانية لا يمكن أن تحدث إلا على قاعدة القرآن في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[4].

قد يقول قائل: إن الاعتقاد بالله يكاد يكون عاما بين الشعوب جميعاً، فلا تكاد تخلوا أمة من أمم الأرض على اختلاف مستوياتها من الناحية الفكرية والحضارية من اعتقاد بإله. وهذا صحيح، ولكن فكرة الألوهية وأوصاف الإله،

---

(١) الزمر: ٦٢ ـ ٦٤.

(٢) الأنعام: ١٣ ـ ١٤.

(٣) النور: ٣٥.

(٤) الرعد: ١١.

والحضارية من اعتقاد بإله. وهذا صحيح، ولكن فكرة الألوهية وأوصاف الإله، وما يجب له، وما يستحيل عليه تختلف اختلافاً كبيراً بين الأمم، فمنهم من اتخذ الصنم والحجر، ومنهم من اتخذ الكواكب والنجوم، ومنهم من اتخذ الأحبار والرهبان، ومنهم من اتخذ الهوى. واقرأ قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1] وقوله ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾[2]. وقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3] وقوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ ﴾[4].

والقرآن الكريم هو الذي يصحح لنا تلك الفكرة ويصف لنا الله ويعرفنا بما يجب علينا نحوه، فهو إله واحد، فليس هناك إله للخير، وإله للشر، وليس هناك إله للنور، وإله للظلمة، وليس هناك إله للجمال، وإله للرياح، وليس هناك من يشاركه في ألوهيته أيا كان ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[5].

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾[6]. ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[7].

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[8] ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ﴾[9].

---

(١) الأنعام: ٧٤. (٢) ص: ٥ ـ ٦. (٣) التوبة: ٣١.
(٤) الجاثية: ٢٣. (٥) محمد: ١٩. (٦) النحل: ٥١
(٧) النساء: ٣٦. (٨) المائدة: ٧٣. (٩) البقرة: ١٦٣.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾(١).

وهكذا في كثير من الآيات التي تذكر لنا الإله بأسمائه وصفاته ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾(٢).

«قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ»(٣)

ولايمكن للإنسان أن يعرف هذه الأسماء إلا عن طريق القرآن، لأن أسماء الله لا دخل للإنسان فيها، وليس للعلم أن يناجي ربه بإسم أو صفة لم يضعه الله لنفسه فهو أعلم بما يدل على ذاته وآثار صفاته، ولا يعرف ذلك إلا عنه سبحانه عن طريق القرآن أو السنة المطهرة.

والقرآن: يوجه الإنسان إلى النظر والتفكير فيما خلق الله في هذا الكون، ويصرفه عن محاولة التفكير في معرفة حقيقته وذاته ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾(٤). فالعجز عن إدراك حقيقة الذات عقيدة من عقائد الإيمان بالله ودليل على سمو الألوهية الحقة عن الدخول في دائرة التفكير العقلي المحدود بطبيعته. كما يقرر القرآن في جانب الإله، الوحدانية الشاملة لوحدانية الربوبية فلا خالق، ولا مدبر، ولا متصرف سواه، ووحدانية الألوهية، فلا معبود بحق، ولا مسئول ولا مستعان سواه، وكثيراً ما يستدل بوحدانية الربوبية التي تشهد بها الفطرة ويعترف بها الإنسان في كثير من حالاته على وحدانية الألوهية.

(١) الأخلاص: ١ ـ ٤.

(٢) الأعراف: ١٨٠.

(٣) الإسراء: ١١٠.

(٤) الأنعام: ١٠٢ ـ ١٠٣.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[1].

﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[2].

كما يحرك القرآن عقول الناس ووجدانهم إلى النظر فيما يوجب وحدة المعبود وحدة تامة كاملة ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[3] وقال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾[4] ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾[5].

---

(١) البقرة: ٢١ ـ ٢٢.

(٢) النحل: ٢٠ ـ ٢٢.

(٣) الإسراء: ٤٢ ـ ٤٤.

(٤) الأنبياء: ٢٢ ـ ٢٤.

(٥) المؤمنون: ٩١ ـ ٩٢.

كما دعا القرآن الإنسان إلى النظر فيما حوله: إلى طعامه ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾(1).

أن ينظر إلى خلقه ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾(2).

أن ينظر إلى ملكوت الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾.(3) ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾(4).

أن ينظر: إلى أحداث التاريخ وما فعل الله بالأمم السابقة ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾(5).

إلى ما خلف الله في هذا الكون وإلى آياته المنبثة في كل مكان ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾، وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾(6) ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾(7).

إلى النواميس الاجتماعية في هذا الكون «ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ

---

(1) عبس: ٢٤ ـ ٣٢.

(2) الطارق: ٥ ـ ٨.

(3) الأعراف: ١٨٥.

(4) يونس: ١٠١.

(5) الروم: ٩.

(6) :١٧ ـ ٢٠.

(7) المائدة: ٧٥

عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾[1].

إلى المطر وهو ينزل من السماء فيحياله به الأرض بعد موتها، وإلى الثمار وهي تتدلى من غصون الأشجار ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾[2].
﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾[3].

إلى الحياة الأولى، كيف بدأت، وكيف نمت وارتقت ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾[4].

وجملة القول:

أن القرآن الكريم جاء بهداية عامة، صححت معارف الفلاسفة، كما صححت معارف الأميين، ومن لا ينتمي إلى العلم، كما صححت عقائد أهل الكتاب من يهود ونصارى، كما صححت أغلاط عبدة الأصنام. ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[5].

كما كان من مقاصده الأولى بيان ما اختلف فيه أهل الكتاب: قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[6] ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[7] ويقول: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[8].

---

(١) الإسراء: ٢١. (٢) الروم: ٥٠. (٣) الأنعام: ٩٩
(٤) العنكبوت: ٢٠. (٥) الإسراء: ٩. (٦) النحل: ٦٤.
(٧) النحل: ٨٩. (٨) النحل: ٧٦ ـ ٧٧.

كما رفع القرآن «ما كان قد وضعه رؤساء الأديان من حجر على عقول المتدينين من فهم الكتب السماوية استئثارا من اولئك الرؤساء بحق الفهم لأنفسهم وضنا به على كل من لم يلبس لباسهم، ولم يسلك مسلكهم لنيل تلك الرتب المقدسة، ففرضوا على العامة أو أباحوا لهم أن يقرأوا قطعا من تلك الكتب، لكن على شريطة أن لا يفهموها، ولا أن يطيلوا أنظارهم إلى ما ترمي إليه، ثم غالوا في ذلك فحرموا أنفسم أيضا مزية الفهم الا قليلا، ورموا عقولهم بالقصور عن إدراك ما في الشرائع والنبوات، ووقفوا كما وقفوا بالناس عند تلاوة الألفاظ تعبدا بالأصوات والحروف. فذهبوا بحكمة الارسال، فجاء القرآن يلبسهم عار ما فعلوا».

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) ﴾(١).

وقال: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥) ﴾(٢).

وقال: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) ﴾(٣).

---

(١) البقرة:: ٧٨ ـ ٧٩.

(٢) الجمعة: ٥.

(٣) الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦.

وأعلن القرآن في صراحة ووضوح أن دين الله في جميع الأزمان، وعلى ألسن جميع الأنبياء واحد ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾[1].

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[2].

فالقرآن الكريم صحح العقائد، وحرر الفكر والعقل، وأيقظ الضمير والجدان الأنساني، وفتح أمام العقول بابا للتأمل والتفكير، استمع إليه وهو يطرح هذه الأسئلة:

﴿أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها. أإله مع الله؟ بل هم قوم يعدلون﴾.

﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَآ أَنْهَـٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[3].

---

(١) آل عمران: ١٩. (٢) آل عمران: ٦٧. (٣) النحل: ٦٠ ـ ٦٥.

في هذه الآيات الخمس خمسة أدلة على انفراده تعالى بالخلق والإيجاد والتصرف والتدبير، فلا إله غيره ولا يستحق العبادة سواه. والاستفهام هنا للإنظار والمراد به التوبيخ والتبكيت، لأنهم يعدلون عمداً عن الحق الواضح وهو التوحيد إلى الباطل البين وهو الشرك. وهو من العدول بمعنى الانحراف، أو يساوون بالله تعالى غيره من آلهتهم، وهو من العدل بمعنى المساواة.

أما الآية السادسة والأخيرة في هذا النص، فهي تقصر علم الغيب على الله تعالى كما أمر الساعة لا يعلمه أحد من البشر ولا يسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(١).

من أصول العقائد التي يجب الإيمان بها:

الإيمان بالرسل:

الإيمان بالرسل ركن من أركان العقيدة، لا تتم عقيدة المسلم إلا به، ولقد كان من رحمة الله تعالى بالإنسانية أن أرسل إليها رسلاً مبشرين ومنذرين ـ مبشرين بثوابه، ومنذرين بعقابه ـ قال تعالى:﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾(٢).

(١) الأعراف: ١٨٧ ـ ١٨٨.

(٢) النساء: ١٦٥.

وتعاقبت هذه الرسالات على الإنسانية أمة بعد أمة وجيلاً بعد جيل ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾(١) ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾(٢) وكلها تهدف إلى هدف واحد وهو إقامة العدل بين الناس والأخذ بأيديهم إلى طريق الكمال ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾(٣).

والقرآن الكريم يوجب الإيمان بجميع الرسل وبما أنزل عليهم، لا فرق في ذلك بين أولهم وآخرهم ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾(٤).

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾(٥). ذلك أن الأصل الذي جاءوا به واحد والعقيدة واحدة لا تختلف من أمة إلى أمة أو من رسالة إلى أخرى ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾(٦).

فمن كفر بواحد منهم، فقد كفر بجميعهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ

---

(١) فاطر: ٢٤.

(٢) يونس: ٤٧.

(٣) الحديد: ٢٥

(٤) البقرة: ٢٨٥.

(٥) آل عمران: ٨٤.

(٦) الشورى: ١٣.

وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ ﴾(١).

وهؤلاء الرسل من البشر لهم من الصفات مثل ما لسائر البشر، فهم يأكلون ويشربون ويتناكحون ويتناسلون، ويموتون كما يموت البشر ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾(٢) ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾(٣). ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾(٤) ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(٥).

وهذا من رحمة الله تعالى بالإنسان، حتى يسهل التلقي عنهم والاقتداء بهم. ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾(٦). إلا أن الله تعالى خصهم برحمته واصطفاهم من

---

(١) النساء: ١٥٠ ـ ١٥١.

(٢) الفرقان: ٢٠.

(٣) الرعد: ٣٨.

(٤) الأنبياء: ٣٤ ـ ٤٤.

(٥) النحل: ٤٣ ـ ٤٤.

(٦) الإسراء: ٩٤ ـ ٩٥.

خلقه لكي يبلغو عنه، وهو أعلم حيث يجعل رسالته ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[1] ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾[2].

فالرسالة أو النبوة منحة من الله لا تنال بالاجتهاد والعبادة، وإنما هي اجتباء واختيار، وهم أهل لهذا الاختيار، فيجب على الناس جميعا أن يصدقوهم، وأن يقتدوا بهم في سيرهم وأن يأتمروا بأمرهم وأن يكفوا عما نهوا عنه لتتحقق لهم السعادة في دنياهم وأخراهم، فلا سبيل إلى السعادة والفلاح إلا على أيدي الرسل ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال العبد رضا الله تعالى إلا بهديهم.

وهم جميعاً يتعاونون لتحقيق هذا الهدف، وقد أخذ الله عليهم العهد والميثاق بذلك ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١﴾[3].

يمهد السابق منهم للاحق، ويصدق اللاحق منهم السابق، وقد ذكر القرآن الكريم عدداً من الرسل على سبيل التفصيل، وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن من الرسل من لم يذكرهم الله تعالى في كتابة فيجب الإيمان بهم إجمالا لأن الله تعالى أخبرنا بذلك وهو أصدق قليلا: قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ

(١) الحج: ٧٥.

(٢) الزخرف: ٣٢.

(٣) آل عمران: ٨١.

﴿أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(١).

وقال: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾(٢).

وبين الله تعالى الحكمة من هذا القصص، فقال لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾(٣) ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾(٤).

وهؤلاء الرسل لا سلطان لهم على البشر، وإنما هم مبلغون عن الله فقط، من غير جبر أو إكراه وهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾(٥) وقال ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٦) ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾(٧) ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾(٨) ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾(٩).

والذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، لا يملك لغيره من باب أولى، وكما يجب الإيمان بجميعهم ـ يجب الإيمان بأن محمداً صلى الله عليه وسلم

---

(١) غافر: ٧٨. (٢) النساء: ١٦٤. (٣) هود: ١٢٠.
(٤) يوسف: ١١١. (٥) يونس: ٤٩. (٦) الأعراف: ١٨٨.
(٧) الغاشية: ٢١ ـ ٢٢. (٨) الأنعام: ٦٦ (٩) الإسراء: ٥٤.

هو خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبي بعده. ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾(١) وأن رسالته خاتمة الرسالات ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(٢).

كما يجب الإيمان بأن رسالته إلى الناس كافة على اختلاف أجناسهم ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾(٣) ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(٤) ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٥). بل أكثر من هذا، فهو مبعوث إلى الجن كما هو مبعوث على الأنس، ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ ﴾(٦).

والقرآن الكريم هو الذي دلنا على هؤلاء الرسل، وبين لنا ما يجب علينا نحوهم من التعظيم والاحترام والتصديق والانقياد لما جاءوا به عن طريق الوحي، لأن معارف الناس المكتسبة بحواسهم وعقولهم لا يمكن أن ترقى إلى ما جاء به الرسل عليهم السلام، ومن هنا كانت الحاجة إلى بعثتهم ضرورة لابد منها، ولذلك نفى الله تعالى العذاب عن الخلق حتى يبعث عليهم من يعرفهم به، وما يجب عليهم نحوه من عبادته وشكره وذكره. وما يجب عليهم الإيمان به من البعث بعد الموت والحساب والجزاء على الإيمان والأعمال. وهو من أكبر

(١) الأحزاب: ٤٠.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) الأعراف: ١٥٨.

(٤) الأنبياء: ١٠٧.

(٥) سبأ: ٢٨.

(٦) الجن: ١ ـ ٢.

البواعث على الإيمان بالله تعالى.

وكما يجب الإيمان بالرسل، يجب الإيمان بالمكتب السماوية التي أنزلها الله على هؤلاء الرسل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾(١) والقرآن الكريم هو الكتاب المصدق لما سبق والمهيمن عليه، وهو الكتاب الوحيد من بين سائر كتب الله تعالى الذي ضمن الله حفظه، ولم يكل ذلك إلى أحد من خلقه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾(٢). فهو محفوظ بحفظ الله له، وسوف يظل هذا الحفظ إلى أن تقوم الساعة.

من عوالم الغيب الملائكة والجن:

إن مصدر العقيدة في الأمور الغيبية) هو القرآن وحده، ولذا يجب علينا أن نقف في الإيمان بالملائكة عند الحد الذي أخبر به القرآن، وهو الخبر الصادق الذي لا يتطرق إليه الشك، بل هو الحق ا الثابت، لأنه اخبار عن الله سبحانه.

والقرآن يقرر في حقهم. أنهم عباد مكرمون ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(٣). لهم وظائف متعددة، وهم خاضعون لسلطان الله تعالى، الذي لم يشذ عن الخضوع له شيء في الأرض ولا في السماء، وهم رسل من رسل الله اصطفاهم الله تعالى كما اصطفى رسلا من البشر ليبلغوا عنه. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾(٤) **وهم أولوا اجنحة مثنى وثلا ورباع** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) النساء: ١٣٦. (٢) الحجر: ٩.

(٣) التحريم: ٦. (٤) الحج: ٧٥.

وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[1].

منهم من ينزل بالوحي إلى أنبياء الله ورسله، ومنهم من يثبت المؤمنين ومنهم المبشرون بحسن العاقبة، ومنهم من يحفظ على الإنسان أعماله في الدنيا، ثم تعرض عليه في الآخرة، ومنهم من يقوم بقبض الأرواح عند الموت، ومنهم الساجدون والمسبحون والحامدون إلى غير ذلك من الوظائف التي لا يحيط بها إلا الله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾[2] ونقرأ هذه الآيات التي تحدثت عن الملائكة : قال تعالى : ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[3] ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾[4] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[5] ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[6] ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[7] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[8].

من هنا كانت الحاجة إلى القرآن، لبيان هذا العالم الغيبي الذي لا يعرفه الإنسان بإدراكه البشري، والإيمان بهم عقيدة، لأن الله قد أخبر عنهم في كتابه وعلى ألسنة رسله عليهم السلام: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾[9] ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ

(١) فاطر: ١. (٢) المدثر: ٣٢. (٣) الأنفال: ١٢.
(٤) الشعراء: ١٩٢ ــ ١٩٤. (٥) فصلت: ٣٠. (٦) الانفطار: ١٠ ــ ١٢.
(٧) النحل: ٣٢. (٨) النساء: ٩٧. (٩) البقرة: ٢٨٥.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1] ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[2] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[3].

من عوالم الغيب «عالم الجن»:

والجن خلق من خلق الله تعالى أخبرنا القرآن الكريم عن المادة التي خلق منها. قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[4] ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾[5].

وهم مكلفون كما كلف الإنس، منهم المؤمن ومنهم الكافر، ومنهمالصالح ومنهم الطالح ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾[6].

فهم محاسبون على أعمالهم كما يحاسب الإنسان، سواء بسواء ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾[7].

---

(١) آل عمران: ١٨.

(٢) الأحزاب: ٥٦.

(٣) الأحزاب :٥٦ .

(٤) الرحمن: ١٤ ـ ١٥.

(٥) الحجر: ٢٧.

(٦) الجن: ١٤ ـ ١٥.

(٧) الأنعام: ١٣٠.

وهم يتلقون الوحي عن الأنبياء والرسل، كما يتلقاه الإنسان ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾(1).

لا يملكون من أمر الغيب شيئاً ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾(2) وهم خاضعون لأمر الله محكمون بإرادته وقدرته ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(3).

لهم القدرة على التشكل بالأشكال المختلفة، وذلك بقدرة الله تعالى وهم يرون البشر ولكن البشر لا يرونهم ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾(4).

وفي القرآن الكريم سورة كاملة سميت بسورة «الجن» وقد أمرنا الله تعالى بالتعوذ من شر الجن والإنس على السواء في آخر سورة من سور القرآن وهي سورة الناس.

من هذا نلاحظ أن القرآن الكريم حيث تحدث عن الجن تحدث عنهم باعتبار أنهم مسئولون يحاسبون على أعمالهم إن خيراً وإن شراً، وإن كانت

---

(1) الأحقاف: ٢٩ ـ ٣١.

(2) الجن: ١٠.

(3) الرحمن: ٣٣ ـ ٣٤.

(4) الأعراف: ٢٧.

طبيعتهم تختلف عن طبيعة الإنسان، من حيث المادة التي خلق منها كل منهما، ومن حيث الظهور والخفاء ومن حيث القدرة اليت خص بها الجن دون الإنس، فالتصديق بوجودهم من مقتضيات التصديق بالقرآن، وصدقه في كل ما حدث عنهم، فالإيمان بوجودهم واجب.

الإيمان باليوم الآخر:

الإيمام باليوم الآخر وما يكون فيه من البعث والحساب والجزاء على الأعمال ركن من أركان الدين الذي بعث الله به الأنبياء والمرسلين. وبه يكمل الإيمان بالله تعالى، ويكون باعثاً على العمل الصالح والاستقامة وتحقيق العدل، وترك الفواحش والمنكرات والبغي والظلم والإفساد في الأرض.

والقرآن الكريم قد أكثر الحديث عن اليوم الآخر وما فيه من الحساب الدقيق والنعيم المقيم، والعذاب الأليم. وأن الحياة الدنيا ما هى إلا مقدمة لحياة أخرى باقية لا يلحقها فناء ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[1] وأن الخلق جميعا سائرون إليها لا محالة، يستوي فى ذلك الكبير والصغير، والعظيم والحقير ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[2].

كما أخبر القرآن أن هذا اليوم قريب، وإن غفل عنه الناس: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[3]. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى

---

(١) العنكبوت: ٦٤.

(٢) الزمر: ٣٠ ـ ٣١.

(٣) الأنبياء: ١ ـ ٢.

ٱلْقُبُورِ﴾[1].

وأن نهاية هذا العالم والإقبال على العالم الآخر، إنما يتم بكلمة تحقيقا لوعد الله وتصديقا لرسله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2]، ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[3] وهذا الحضور بين يدي الله تعالى هو خاتمة المطاف بالنسبة للإنسان، وإليه تنتهي الغاية من خلق هذا الإنسان ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾[4].

وإذا علمنا أن الله تعالى قد خلق هذا الإنسان وكرمه على سائر المخلوقات وسخر له ما في السموات وما في الأرض، وأن هذا الخلق لم يكن عبثاً، لأن الله تعالى منزه عن العبث ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾[5].

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾﴾[6] **إذا علمنا هذا أقنا أن الله تعالى لمن يهمل هذا الإنسان ويتركه دون حساب يترتب عليه ثواب وعقاب.** ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾[7]. من هنا وجب الإيمان بالبعث.

---

(١) الحج: ٦ ـ ٧. (٢) يس: ٨٢ ـ ٨٣. (٣) يس: ٥١ ـ ٥٣.
(٤) النجم: ٣٩ ـ ٤٢. (٥) المؤمنون: ١١٥ ـ ١١٦. (٦) ص: ٢٧.
(٧) النجم: ٣١.

أما الأدلة على وقوعه وإمكانه فأكثر من أن تحصى، ونكتفي منها ببعض ما جاء في القرآن على سبيل المثال لا الحصر، أما ما وراءه من الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار وما أعده الله للمتقين والكافرين، فليس للعقل فيه مجال، وإنما هو أسير النقل الصحيح اليقيني عن الكتاب والسنة، ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى القرآن الكريم لبيان هذه العقيدة، لأن الإيمان باليوم الآخر وما فيه من أقوى الدوافع للإنسان كي يصل إلى الكمال والرقي في حياته الدنيا، ويحظى بالنعيم والسعادة في الدار الآخرة.

أما أدلة الإمكان فمنها:

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾[1].

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾[2].

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾[3] ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾[4] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ

---

(١) التغابن: ٧.

(٢) يس: ٧٨ ـ ٧٩.

(٣) الكهف: ٤٧ ـ ٤٨.

(٤) الأنبياء: ١٠٤.

مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ﴾[1].

وهكذا في كثير من سور القرآن الكريم حتى لا تكاد تخلو سورة من الحديث عن اليوم الآخر، واقرأ إن شئت سورة الواقعة، وسورة القيامة، وسورة الزلزلة، وسورة القارعة.

الإيمان بالقدر:

وكما يجب علينا الإيمان باليوم الآخر. يجب علينا أن نؤمن بأن الله خلق الإنسان ومنحه العقل والإرادة، كما منحه القدرة والاختيار، فهو يفعل الخير مختاراً، فيثاب عليه، ويفعل الشر مختاراً، فيعاقب عليه. ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[2].

وبتلك الحرية وهذا الاختيار كلفه الله وأرسل عليه المرسل لهدايته وإرشاده ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[3] ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[4]. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[5].

---

(١) الحج: ٥ ـ ٦.

(٢) الكهف: ٢٩.

(٣) البلد: ١٠.

(٤) الإنسان: ٣.

(٥) الشمس: ٧ ـ ١٠.

وعلى هذا الأساس، أمر الله الإنسان ونهاه، وبعث له الرسل، وأنزل عليه الكتب، ووضع نصب عينيه الثواب والعقاب، ولولا أن الإنسان ذو إرادة وقدرة ما كان لتحميله أمانة التكاليف معنى ولا كان ثوابه وعقابه مما يوافق العدل الإلهي والحكمة الإلهية، ولا كان هناك معنى لاستخلافه في الأرض واستعماره فيها، أي طلب عمارتها.

إن الإنسان مخلوق الله، محكوم بمشيئته، خاضع لإرادته، ولكنه مخلوق متميز بمواهبه وملكاته، وقواه الروحية والعقلية والمادية التي أهله الله بها ليحمل مسئولية الخلافة وأمانة التكاليف: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾(١).

فالإنسان محكوم ومختار في آن واحد، بمعنى أنه لا يسأل عما لا إرادة له فيه، ولكنه يسأل ما يملك فيه حرية الاختيار، فهو مختار في فعله، ليس مقهوراً ولا مجبوراً على خير أو شر، محكوم بقدرة الله ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾(٢).

ولا يجوز أن يحتج الإنسان بالمشيئة العليا ليفلت من العقاب، أو يتخذ ذلك ذريعة الى ارتكاب المعصية أو الانحراف عن أوامر الله، ولو صح ذلك لبطلت التكاليف، وكان بعث الرصل وإنزال الكتب ودعوة الناس إلى دين الله والوعد بالثواب لأهل الخير، وبالعقاب لأهل الشر، باطلا وعبثا، وهذا مستحيل على الله تعالى، لأنه منزه عن ذلك.

وحين اعتذر المشركون عن شركهم بأنهم مجبورون بمشيئة الله لشركهم. أنكر الله عليهم ذلك، وأخبرهم أن حجته قائمة عليهم، وذلك بما منحهم من العقل وأرسل إليهم من رسل ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ

---

(١) الإحزاب: ٧٢.

(٢) الإنسان: ٣٠.

أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾[1].

إن الله تركهم وما يختارون، من ظلال أو هداية، أن الله يعلم ما سيكون الإنسان عليه من هدى أو ضلال، وخير أو شر وعلمه شامل، وليس في ذلك شيء من القهر والإلزام، وإنما هو مجرد إنكشاف ما وقع وسيقع وفق سننه تعالى في الكون والإنسان. وهذا هو معنى القدر[2]. ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[3].

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾[4].

وليس في الإسلام أن الخطيئة موروثة في الإنسان قبل ولادته، ولا أنه يحتاج في التوبة عنها إلى كفارة من غيره، كما في الأديان الأخرى، بل الإنسان في الإسلام محاسب على عمله فقط ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾[5].

---

(١) الأنعام: ١٤٨ ـ ١٤٩.

(٢) انظر في ذلك الوحي المحمدي، الإسلام عقيدة وشريعة، حقائق الإسلام للعقاد، الخصائص العامة للإسلام، المحاور الخمسة للقرآن للشيخ محمد الغزالي «رسالة التوحيد».

(٣) الحديد: ٢٢.

(٤) الملك: ٢.

(٥) لقمان: ٣٣.

﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾[1].

﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾[2].

قال النووي: (اعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى)[3].

الفصل الثالث
الحاجة إلى القرآن في مجال التشريع

القرآن الكريم يقرر: أنه ليس لأحد من البشر حق في التشريع والتقنين أو التحليل والتحريم، بل الحق في ذلك لله ورسوله. أما ما يشرعه البشر لأنفسهم أو لغيرهم من بني جنسهم فمرد ذلك إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان وافق الكتاب والسنة قبلناه، وإن خالف الكتاب والسنة رددناه، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[4] ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ

---

(١) الإسراء: ١٥.

(٢) الشورى: ٣٠.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: جـ١ ص ١٥٤ ـ دار إحياء التراث.

(٤) الشورى: ١٠.

ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾[1]. ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[2] ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾[3] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾[4].

إن القرآن الكريم قد اشتمل على كل ما يحتاجه الناس في حياتهم من أحكام أو قوانين تحكم علاقاتهم في كل سصورها، ونجيب على كل تساؤلاتهم على كثرتها وتنوعها قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[5] وقال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾[6].

يقول الشافعي رضي الله عنه في كيفية بيان القرآن للأحكام، إنها على أربعة أقسام.

١ ــ ما أبانه الله لخلقه نصا، مثل جمل الفرائض، كالنص على الصلاة والزكاة

---

(١) المائدة: ٤٩ ــ ٥٠.

(٢) النساء: ٦٥.

(٣) النحل: ٦٤.

(٤) النحل: ١١٥ ــ ١١٦.

(٥) النحل: ٨٩.

(٦) الأنعام: ٣٨.

والحج، وحرمة الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وحرمة الزنا والخمر، وأكل الميتة ولحم الخنزير.

٢ ـ ما أحكم الله فرضه في كتابه، وبين تفصيله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم مثل عدد الصلاة والزكاة وأوقاتها.

٣ ـ ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مما ليس لله فيه نص حكم، وقد فرض الله في كتابه طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والانتهاء إلى حكمه، فمن قبل عن رسول الله فبفرض الله قبل.

٤ ـ ما فرض الله على خلقه الاجتهاد في طلبه، وابتلى طاعتهم في الاجتهاد كما ابتلى طاعتهم في غيره مما فرض عليهم.[١]

وبالنظر إلى هذه الأقسام التي ذكرها الإمام الشافعي رضي الله عنه، نجد أنها جميعها ترجع الى القرآن الكريم، إذ كل ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما بينه للناس أو سنة هو لهم مما لا نص فيه، فهو يندرج تحت قوله ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٢].

وقوله ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[٣].

وقوله ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[٤].

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾[٥].

---

(١) الرسالة للإمام الشافعي ، بتحقيق أحمد محمد شاكر ـ ط ـ الحلبي ١٩٤٠ مصر، ص ٢١.

(٢) الحشر: ٧.

(٣) النساء: ٦٥.

(٤) النساء: ١١٥.

(٥) النساء: ١٠٥.

وقوله ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[1].

أما الاجتهاد، فقد جعل القرآن لأهل الذكر والاستنباط منزلة سامية، وأمر الناس بالرجوع إليهم فيما يحتاجون إليه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[3] وقال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾[4] وقال ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢﴾[5].

وقد مهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده طريق الاستنباط لمن جاء بعدهم من أئمة المسلمين وعلمائهم، ولذلك اتضح مقدار سعة هذا التشريع وتناوله لكل ما يجد في الحياة، وأنه بحق صالح لتنظيم جميع الشؤون: اجتماعية أو فردية إلى يوم الدين.

وقد انعقد اجتماع المسلمين على أن القرآن الكريم هو أساس الدين والشريعة حتى صار ذلك عندهم مما علم من الدين بالضرورة، لا فرق في ذلك عندهم بين عصر وعصر، وإقليم وإقليم، فهو حجة الله العامة على الناس أجمعين في كل زمان ومكان في عقائده وأحكامه وأخلاقه. ومن زعم أنه حجة خاصة بقوم دون قوم، أو بعصر دون عصر، فهو خارج عن شريعة الإسلام[6].

لقد نزل القرآن وللعرب عرف ومعاملات. وأحكام وعادات، فأقر كثيرا

---

(١) النحل: ٤٤.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) النساء: ٨٣.

(٤) الأنبياء: ٧. والنحل: ٤٣.

(٥) الحشر: ٢.

(٦) الإسلام عقيدة وشريعة للمرحوم الشيخ شلتوت: ص ٤٨٨، ٤٩٨.

مما درجوا عليه في هذه الشئون، وهذب فيها وعدل، وألغى وبدل، وليس ذلك مما يضير القرآن في تشريعه واستقلاله، فما كان الإسلام إلا دينا يراد به تدبير مصالح العباد وتحقيق العدالة وحفظ الحقوق، ولم يأت ليهدر كل ما كان عليه الناس ليؤسس على أنقاضه بناء جديدا لا صلة له بفطرة البشر وما تقتضيه سنن الاجماع، وإنما كان ينظر إلى الأشياء من جهة ما فيها من مصالح ومضار، فما كان منها صالحاً أبقاه وأقره ـ كالقسامة والديات ـ وجعله من شريعته، وما كان منها ضاراً مفسدا للمال أو للاجتماع أو للأسر، نهى عنه وحرمه وما احتاج منها إلى التنقيح والتهذيب أدخل عليه من التهذيب ما جعله صالحا كفيلا بخير الناس(١).

واقتضت مشيئة الله تعالى أن يفصل الحكم في الأمور التي لا تختلف من بيئة لبيئة ولا من زمان لزمان، كالميراث والزواج والطلاق وكتابة الديون، وأن يجعل الحكم فيما يختلف حسب ظروف الناس وبيئاتهم، كالحكم والشورى، فلم يفصل القرآن كيف يكون هذا الحكم، وإنما ترك ذلك لظروف الناس. واشترط في هذا الحكم أن يقوم على العدل، ولم يفصل في الشورى كذلك، بل ترك ذلك لظروف المسلمين في كل بلد(٢).

وهذه الخصائص التي تميز بها الإسلام عن غيره لا يمكن أن توجد في أي تشريع آخر، من حيث الشمول والوفاء بحاجات البشر في كل زمان ومكان. مهما اختلفت البيئات وتغيرت الظروف، لأن مصدره الأول كتاب الله ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾(٣). ومنزله إله خالق يعلم ما كان وما سيكون خلق الإنسان ويعلم ما يصلح هذا الإنسان ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾(٤).

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ـ الشيخ شلتوت: ص ٤٩١.

(٢) دراسات في الثقافة الإسلامية. د/ محمد عبدالسلام وآخرون ـ مكتبة الفلاح الكويت: ط ٤.

(٣) فصلت: ٤٢.

(٤) الملك: ١٤.

إنه دين الرحمة والعدالة والمساواة ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾(١).

الرحمة بالضعيف والفقير والمسكين واين السبيل والعاجزين والمحتاجين، ففرض لهم حقا معلوما ونصيبا مقدرا في أموال الأغنياء هو الزكاة والكفارات، وهو دين العدل يحمي حقوق الأغنياء ويحافظ عليها إذا أدوا حق الله فيها، فشرع حد السرقة لمن يعتدي على أموال غيره من غير حق له أو شبهة، وصان حق اليتيم وحذر من الاقتراب منه إلا بالمعروف ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾(٢). ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾(٣).

ودين المساواة بين الرجل والمرأة في العمل والجزاء والميراث، فبعد أن كانتلا ترث فاحتفظ القرآن لها بنصيبها من الميراث على قدر حصتها في الجيد والردىء من المال: « لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾(٤).

وأمر القرآن بلزوم العدل في كل الأمور، وعلى أي حال كان، وحذر من اتباع الهوى والعصبية وبغض الناس، لأن ذلك قد يدفع إلى تلك العدل، فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾(٥).

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ

---

(١) الحديد: ٢٥. (٢) الإسراء: ٣٤. (٣) النساء: ١٠.
(٤) النساء: ٧. (٥) النساء: ١٣٥

ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾(١).

كما لا يبيح العداوة والبغضاء لمجرد المخالفة في الدين، بل يترك لكل إنسان أن يعتقد ما يشاء ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾(٢).

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ .. **السورة**﴾(٣).

بل أكثر من هذا، فهو قد رخص للمؤمنين في البر والصلة، قولا وفعلا، للكفار الذين لم يقاتلوهم لأجل الدين ولم يلحقوا بهم أذى. فقال: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٤).

والأمثلة كثيرة جداً، وليس القصد من هذا البحث أن نحصي كل ما جاء به القرآن الكريم، وإنما المقصود بيان الحاجة إلى القرآن في هذه المجالات التي حددناها في مقدمة البحث، ويكفي أنه جاء بتشريع شامل، نظم علاقة العبد بربه، ثم علاقة المسلم بأخيه المسلم، كما نظم علاقة المسلمين بغيرهم مما

---

(١) المائدة: ٢.

(٢) الشورى: ١٥.

(٣) الكافرون: ١٠٩.

(٤) الممتحنة: ٨ ـ ٩.

يطول بذكره المقام، كما نظم علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول في السلم وفي الحرب.

كما يكفيه شرفاً وفضلاً، أنه التشريع الوحيد من بين سائر التشريعات الوضعية منها أو السماوية المحرفة، الذي ثبت على مر القرون والأزمان واستطاع أن يواجه كل المشكلات والتحديات وأن يجيب على كل التساؤلات على الرغم من فترات الضعف والجمود التي مرت بتاريخ المسلمين، فعجزوا فيها عن تقديم الحلول لبعض المعاملات التي استحدثت، ولم يوجد لها حكم في الفقه الإسلامي، مما جعل البعض يدافع الحقد للإسلام أوالجهل، بتشريعه، يثير الشبهات حول بعض التشريعات مثل تعدد الزوجات وتعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم وإباحة الطلاق وتحريم الزنا والفواحش ما ظهر منها وما بطن، والخمر والسفور، لأن ذلك يتعارض مع الحرية الشخصية للفرد في نظرهم.

ولكنهم بعد طول التجارب وبمرور الزمن لم يجدوا ملجأ يلجأون إليه حين دمرتهم المعاصي وأفسدت مجتمعاتهم المفاسد والموبقات، كما لم يجدوا علاجا لهذه الأمراض الخلقية والاجتماعية والنفسية إلا في ظل التشريع الإسلامي، فما كان محرماً عليهم أصبح مباحا بحكم القانون، وما كان مباحاً أصبح محظوراً بحكم القانون كذلك وإن لم يعترفوا أن هذا من الإسلام.

ونحن ننظر اليوم، فنجد أن أكبر المذاهب شيوعاً وانتشاراً هو الشيوعية، قد انهارت وانقلبت على نفسها، لأن الناس لم تعد تصدق تلك الدعايات الكاذبة والشعارات الفارغة، وها هي الصين أكبر الدول الشيوعية تقوم هذه الأيام بحملة واسعة ضد الفساد والاباحية، وسميت تلك الحملة بحملة الشرور الستة، وهي القضاء على الدعارة والاباحية والمخدرات وخطف النساء، والخرافات، والفساد بكل أشكاله وجميع صوره.

وها هو سرطان هذا العصر المدمر، الذي حير الأطباء وأزعج العالم في الشرق والغرب «الايدز» وهو مرض فقدان المناعة المكتسبة، ومن أسبابه: الاتصال

الجنسي الآثم والمخدرات، فلم تفلح التشريعات الوضعية لعلاج هذه الأمراض وليس أمام العالم ـ إن أراد الحل لمشكلاته أوالعلاج الناجع لأدوائه إلا أن يعود إلى تشريع الإسلام اعترف بذلك أو لم يعترف، لأنه رباني الأصل قرآني المصدر.

فالإسلام في لغة القرآن، ليس اسما لدين خاص، وإنما هو اسم للدين المشترك الذي هتف بك كل الأنبياء، وانتسب إليه كل اتباع الأنبياء، هكذا نرى نوحاً الذي يقول لقومه: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(١) ويعقوب يوصي نبيه ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾(٢). وأبناء يعقوب يجيبون أباهم: ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(٣) وموسى يقول لقومه: ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾(٤) والحواريون يقولون لعيسى: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(٥). بل إن فريقاً من أهل الكتاب حين سمعوا القرآن: ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾(٦).

وبالجملة، نرى اسم الإسلام شعاراً عاما يدور في القرآن على ألسنة الأنبياء وأتباعهم منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصر النبوة المحمدية، ثم نرى القرآن يجمع هذه القضايا كلها في قضية واحدة يوجهها إلى قوم محمد صلى الله عليه وسلم ويبين لهم فيها أنه لم يشرع لهم دينا جديدا، وإنما هو دين الأنبياء من قبلهم: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا

---

(١) يونس: ٧٢.

(٢) البقرة: ١٣٢.

(٣) البقرة: ١٣٣.

(٤) ءيونس: ٨٤.

(٥) آل عمران: ٥٢.

(٦) القصص: ٥٣.

وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[1].

ثم نراه بعد أن يذكر سيرة الأنبياء وأتباعهم ينظمهم في سلك واحد ويجعل منهم جميعاً أمة واحدة لها إله واحد كما لها شريعة واحدة ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾[2].

فعلى كل من ينتسب إلى دين سماوي الرجوع إلى أصل لدينه إن كان ينتمي حقاً إلى دين، بشرط أن يبتعد عن الهوى ويتجرد من العصبية، وسوف يجد أن القرآن الكريم هو الكتاب المصدق لما قبله، والمصحح له والمهيمن عليه.

ومن هنا كانت الحاجة إلى القرآن.. لتصحيح العقيدة والشريعة معا. أما من لم يؤمن بكتاب ولم ينتم إلى دين سماوي فعليه أن يقرأ القرآن أو تترجم إليه المعاني التي اشتمل عليها القرآن، وأعني بذلك التفسير لا النص، وهذه مهمة علماء المسلمين وأئمتهم، وهي مهمة البلاغ، لأن لاقرآن الكريم جاء بقانون منظم للعلاقات بينالدول، وللعلاقات بين الأفراد، وللعلاقات بين الأسرة، كما ينظم العلاقات بين الآباء والأبناء، وبين حقوق كل طائفة أمام الأخرى، وهذا هو سر إعجازه التشريعي.

وقد أشار إلى ذلك القرطبي إشارة عابرة، فقد قال في كتاب أحكام القرآن في بيان وجوه الإعجاز (ومنها ما تضمنه القرآن من العلم الذي هو قوام الأنام في الحلال والحرام. وفي سائر الأحكام)[4]. وهو بهذا يشير إلى أن

---

(١) الشورى: ١٣.

(٢) الأنبياء: ٩٢.

(٣) الدين، د/ محمد عبدالله دراز: ص ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٤) أصول الفقه للإمام محمد أبو زهرة: ص ٩١ نقلا عن القرطبي.

الشريعة وما اشتملت عليه من أحكام منظمة للأسرة والتعامل الإنساني بوجه عام، هو وجه من وجوه الإعجاز.

وهذا الذي ذكره القرطبي حق، وذلك لما اشتمل عليه تشريع القرآن من الشمول والثبات والمرونة وخاصة إذا علمنا أن هذا الكتاب نزل على أمي وإلى قوم لم يكن فيهم قانون، ولا نظام للتعامل، بل كان السائد هو نظام العشائر المبني على التقاليد والعادات الجاهلية.

وقد امتاز هذا التشريع القرآني عن غيره من التشريعات بعدة خصائص نجملها فيما يأتي:

* كونه وسطا جامعا لحقوق الروح والجسد، ومصالح الدنيا والآخرة.
* كون غايته الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة، وذلك بتزكية النفس بالإيمان بالله تعالى ومعرفته، والعمل الصالح، ومكارم الأخلاق.
* الغرض منه التعارف والتآلف بين البشر، لا زيادة التفريق والاختلاف.
* كونه يسرا لا حرج فيه ولا ارهاق ولا إعنات.
* منع الغلو في الدين، وإبطال جعله تعذيبا للنفس بإباحة الطيبات والزينة بدون إسراف ولا كبرياء.
* قلة تكاليفه وسهولة فهمها حتى يفهمها العالم والجاهل.
* انقسام التكليف إلى غرائم ورخص.
* النصوص مراعى فيها درجات تفاوت البشر في العقل والفهم.
* معاملة الناس بظواهرهم وجعل الباطن موكولا إلى الله تعالى.
* مدار العبادات كلها على اتباع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر، فليس لأحد فيها رأي شخصي ولا رياسة. ومدارها في الباطن على الاخلاص لله وصحة النية[1].

---

(١) الوحي المحمدي: بتصرف يسير: ص ٢٦٧ ــ ٢٧١.

هذا هو تشريع القرآن.. وهذه خصائصه، فأين هذا من تشريع البشر؟..

الفصل الرابع

الحاجة إلى القرآن في مجال الأخلاق

الأخوة الإنسانية، رباط مقدس فوق اعتبار الجنس والنوع واللون:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾(1) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(2). فالبشر جميعا ينتمون إلى أصل واحد: الأب واحد، والأم واحدة. وبينهم نسب مشترك، وأكرمهم عند الله أتقاهم، والأصل في العلائق بين الشعوب والقبائل أو بين الأمم والشعوب هو التعارف لا التناكر، والتآلف لا التفرق والاختلاف، كما دعا القرآن إلى التعاون، بشرط أن يكون هذا التعاون لخير الإنسان، أي لجلب النفع ودفع الضرر ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾(3).

ولقد شاء الله للإسلام أن يكون الرسالة العامة الخالدة، فهو هداية الله للناس كافة، من كل الأمم، وكل الطبقات. وكل الأفراد، وكل الأجيال. والناس تختلف مواهبهم وطاقاتهم الروحية والفعلية والوجدانية، وتتفاوت مطامحهم وآمالهم. ودرجات اهتمامهم، ولهذا جمعت الفكرة الأخلاقية في الإسلام ما فرقته الطوائف الدينية، والمذاهب الفلسفية ـ مثالية وواقعية ـ في نظرتها إلى الأخلاق وتفسيرها لمصدر الإلزام الخلقي، فلم يكن كل ما قالته هذه المذاهب والنظريات

---

(1) النساء: 1.

(2) الحجرات: 13.

(3) المائدة: 2.

باطلا، كما لم يكن كله حقا. إنما كان عيب كل نظرية أنها نظرت من زاوية. وأغفلت أخرى. وهو أمر لازم لتفكير البشر، الذي يستحيل عليه أن ينظر في قضية ما نظرا يستوعب كل الأزمنة والأمكنة وكل الأجناس والأشخاص، وكل الأحوال والجوانب، فهذا يحتاج إلى إحاطة إله عليم حكيم(١).

وخير للمجتمع الإنساني أن تقاس الأخلاق فيه بمقياس الكمال، ولا تقاس بمنفعة تفسد بفساد المجتمع نفسه، وتنحرف مع انحراف نظرته إلى منافعه ومضاره، ولا يوجد هذا الكمال إلا في ظلال القرآن، ومن هنا كانت الحاجة ضرورية إلى القرآن في هذا المجال، «فلا بد إذاً من الفضائل الإلهية في تعليم الإنسان مكارم الأخلاق، وما اكتسب الإنسان أفضل أخلاقه إلا من الإيمان بمصدر سماوي يعلو به عن طبيعته الأرضية، وهذا هو المقياس الأوفى لمكارم الأخلاق في الإسلام.

ليس مقياسها الأوفى أنها أخلاق قوة، ولا أنها أوساط بين أطراف، ولا أنها ترجمان لمنفعة المجتمع أو منفعة النوع الإنساني بأجمعه في وقت من الأوقات، وإنما مقياسها أنها أخلاق كاملة، وأن الكمال اقتراب من الله»(٢)

ونستطيع بنظرة سريعة أن نقارن بين الأخلاق التي جاء بها القرآن، وبين الأخلاق والفضائل عند عرب الجاهلية لكي يظهر لنا الفرق الشاسع بين هذه وتلك.

فالشجاعة إلى حد التهور، والشهامة التي لا حد لها، والكرم إلى درجة الإسراف، والإخلاص التام للقبيلة، والقسوة في الانتقام والأخذ بالثأر ممن اعتدى عليه. أو على قريب له، أو على قبيلته، هذه هي أصول الفضائل عند العرب الوثنيين في الجاهلية.

---

(١) الخصائص العامة للإسلام.. د/ يوسف القرضاوي: ١٠٩.

(٢) حقائق الإسلام للعقاد: ص ٢٤٩.

أما في الإسلام، فالخضوع لله والانقياد لأمره والصبر وإخضاع منافع الشخص ومنافع قبيلته لأوامر الدين، والقناعة وعدم التفاخر والتكاثر، وتجنب الكبر والعظمة، هذه الأخلاق والفضائل هي المثل الأعلى للإنسان في الحياة، وبدونها لا ترقى الحياة ولا تتحقق السعادة للإنسان، فأين هذه من تلك؟

قال تعالى ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

من هذا يظهر لنا بوضوح، شمول الأخلاق القرآنية من حيث موضوعها ومحتواها فهي تسع الحياة بكل جوانبها وكافة مجالاتها، فلم تدع جانباً من جوانب الحياة الإنسانية روحية أو جسمية، دينية أو دنيوية، عقلية أو عاطفية، فردية أو اجتماعية إلا رسمت له المنهج الأمثل للسلوك الرفيع، فما فرقه الناس في مجال الأخلاق، باسم الدين وباسم الفلسفة، وباسم العرف أو المجتمع قد ضمه القانون الأخلاقي في القرآن في تناسق وتكامل وزاد عليه[2].

وهذه جملة من الآيات التي تدل على هذا الشمول ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[3] **وقال** ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ

---

(١) الأنعام: ١٥١ ـ ١٥٢.

(٢) انظر الخصائص العامة للإسلام ـ د/ القرضاوي: ص ١٠٦.

(٣) الأعراف: ٣١.

بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(١) ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾(٢) ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾(٣). واقرأ الآيات من سورة الإسراء من قوله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ إلى قوله ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾(٤) .واقرأ قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٥).

وقد زعم النصارى أن ما جاء به الإنـجيل من الفضائل والآداب. أكمل وأفضل مـما جاء به الإسلام.

ونقول ردا على هذا الزعم: إن الإنـجيل وإن اشتمل على الفضائل والآداب إلا أن هذه الآداب خاصة، مؤقتة، لا عامة دائمة، وأن الله إنما أكمل دينه ووحيه بالقرآن. ففضائله أتم وأكمل، وأعم وأشمل، وأبقى وأدوم.

وقد ذكر المرحوم الأستاذ محمد رشيد رضا فضيلتين من فضائل الإنـجيل وقارن ذلك بما جاء في القرآن الكريم، حتى يظهر الفرق بين ما جاء به الإنـجيل وما جاء به القرآن.

الأولى: قول المسيح عليه السلام «أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، احنوا إلى من يبغضكم، ومن ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر». الفصل الخامس من انجيل متى.

ثم قال: ومن المعلوم أن امتثال هذه الأوامر يتعذر على غير الأذلة

---

(١) النساء: ١٩.

(٢) الشمس: ٩ ـ ١٠.

(٣) الأحقاف: ١٥.

(٤) الإسراء: ٢٣ ـ ٣٩.

(٥) النحل: ٩٠.

المستعبدين من الناس، وأنه قد يكون من أكبر المفاسد بإغراء الأقوياء بالضعفاء الخاضعين، وإنك لتجد أعصى الناس لهما من يُسمَّوْن أنفسهم بالمسيحيين.

وأمثال هذه الأوامر لا تأتي من دين الفطرة العام، لأن امتثالها من غير المستطاع.. والله تعالى يقول ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(١).

وإنما قرر القرآن في موضعها الجمع بين العدل والفضل والمصلحة فقال تعالى ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾(٢).

ولا يخفى أن العفو والمغفرة للمسيء إنما تكون من القادر على الانتصار لنفسه، وبذلك يظهر فضله على من عفا عنه، فيكون سببا لاستبدال المودة بالعداوة، في مكان الإغراء بالتعدي ودوام الظلم، ولذلك قال: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾(٣).

الثانية: مبالغة المسيح عليه السلام في التزهيد في الدنيا، والأمر بتركها، وذم الغني، حتى جعل دخول الجمل من ثقب الإبرة أيسر من دخول الغني ملكوت السماوات.

ثم يقول في الرد على هذه المسألة وسابقتها: إنما كانت إصلاحا مؤقتا

---

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) الشورى: ٤٠ ـ ٤٤.

(٣) فصلت: ٣٤ ـ ٣٥.

لإسراف اليهود وغلوهم في عبادة المال، حتى أفسد أخلاقهم، وآثروا دنياهم على دينهم، والغُلو يقاوم مؤقتا بضده.

أما الإسلام، فهو دين البشر العام الدائم، فلا يقرر فيه إلا ما هو لمصلحة الناس كلهم في دينهم ودنياهم، وهو في هذه المسألة، ذم استعمال المال فيما يضر من الإسراف والطغيان، وذم أكله بالباطل ومنع الحقوق المفروضة فيه، والبخل به عن الفقراء والضعفاء، ومدح أخذه بحقه وبذله في حقه وإنفاقه في سبيل الله بما ينفع الناس»[1] فأين هذه من تلك؟

ولا يفهم البعض أن الإسلام يقف من الديانات السماوية موقف العداء والمخاصمة بل على العكس من ذلك، فعلاقته بها في صورتها الأولى علاقة تصديق وتأييد كله، وإن علاقته بها في صورتها الواقعية علاقة مصدق لما بقي من أجزائها الأصلية، وتصحيح لما طرأ عليها من البدع والإضافات الغريبة عنها.

وليس من أهداف الإسلام أن يفرض نفسه على الناس فرضا حتى يكون هو الديانة العالمية الوحيدة، بل أن الإسلام هو أول من يعرف أن كل محاولة لفرض ديانة عالمية وحيدة هي محاولة فاشلة. بل هي مقاومة لسنة الوجود ومعاندة لإرادة رب الوجود. ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾[3] ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا

---

(١) الوحي المحمدي: ص ١٩٣ ـ ١٩٥.

(٢) هود: ١١٨ ـ ١١٩.

(٣) يوسف: ١٠٣.

مُؤْمِنِينَ﴾(١) ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾(٢).

هذه هي أخلاق الإسلام كما عبر عنها القرآن. وقد بين القرآن أسلوب الدعوة فجعلها بالحجة والنصيحة في رفق ولين ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٣).

ولا يكتفي القرآن بعدم إكراه الناس على الدخول في الإسلام، بل نراه يوصي بالمشركين الذين هم أبعد الناس عن الأديان السماوية، بأن نكفل لهم الحماية والرعاية والأمان. ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾(٤).

كما لا يكتفي القرآن في تحديد العلاقة بين الأمم الإسلامية والأمم التي لا تدين بالإسلام بأن يجعل هذه العلاقة مبادلة سلم بسلم، بل ندب المسلمين أن يكون موقفهم من غيرهم موقف رحمة وبر وعدل وقسط. ما داموا لم يعتدوا عليهم. نقرأ في ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ﴾(٥) وقوله ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾(٦).

فهل ترى أوسع أفقاً، وأرحب صدرا، وأسبق إلى الكرم، وأقرب إلى تحقيق السلام العالمي والتعايش السلمي بين الأمم من تلك الدعوة القرآنية(٧).

ونقرأ هذه الآية الجامعة التي جمعت أمهات الأخلاق وهي قول الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ

---

(١) يونس: ٨٩٩ . (٢) القصص: ٥٦. (٣) النحل: ١٢٥.

(٤) التوبة: ٦. (٥) النساء: ٩٠. (٦) الممتحنة: ٨.

(٧) انظر في ذلك كتاب الدين د/ دراز ٢/١

وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾[1] وقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[2].

ولا يمكننا أن نحصي الأخلاق التي جاء بها القرآن الكريم، فإن ذلك يحتاج إلى مجلدات، كما لا يتفق ذلك مع طبيعة هذا البحث، ولكننا نشير إلى بعضها فقط فهي تشمل كل جوانب الحياة الإنسانية في السلم وفي الحرب، في العبادات والمعاملات وفي الآداب الخاصة والعامة.

فالقرآن يحض على هذه الأخلاق ويعد من يتخلق بها بالثواب العظيم من مثل الصدق والأمانة والوفاء والصبر والعفاف، والحياء، والسخاء والشجاعة والحكم والإيثار والتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإحسان إلى الجار والقريب، والعطف على الفقير والمسكين واليتيم والصبر في مواطن الشدة والعدل مع من أحببت أو كرهت، والعفو عند المقدرة وإصلاح ذات البين.

كما يأمرنا بهذه الآداب من مثل أدب التحية، أدب الاستئذان أدب الجلوس أدب الدخول على المجلس والخروج منه ـ خفض الصوت وعدم مناداة الكبار من الخارج ـ استعمال أطيب العبارات في المخاطبة، كما نهانا

---

(١) النساء: ٣٦.

(٢) البقرة: ١٧٧.

عن هذه الأخلاق من مثل الغش، خيانة الأمانة نقض العهد أكل مال اليتيم، الظلم، اتباع الهوى، التعاون على الإثم والعدوان، شهادة الزور، كتمان الحق، الغدر، الخداع، قول السوء، إفساد ذات البين، القتل، الإفساد في الأرض بترويع الآمنين وقطع الطريق، أكل أموال الناس بالباطل، السخرية، التنابذ بالألقاب، الظن السيىء بالمؤمنين والمؤمنات، التجسس، الغيبة، قتل المؤمن عمدا، تطفيف الكيل والميزان، وإذا أدخلنا الآداب التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل: أدب الأكل والشرب، أدب النوم والتيقظ، أدب اللباس والزينة، أدب المشي، أدب الزيارة، فهي وإن كانت واردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلام إلا أنها تندرج تحت قول الله تعالى ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾(١) **فهي آداب قرآنية.**

الخاتمة

لقد وصلنا إلى استخلاظ النتائج الآتية:

- لقد جاء القرآن والعرب، بل العالم كله في حيرة من أمره، ضلال في العقيدة وفساد في التشريع، وانحراف في الأخلاق، فصحح العقيدة وقوم السلوك، وهذب الأخلاق. ووضع النظام التشريعي الكامل وأوجد تصورا جديدا عن الوجود والحياة والقيم والنظم وحرر العقل من الأوهام والخرافات وفتح أمامه باباً من أبواب التفكير وجعل ذلك من العبادات بل من أفضلها.
- القرآن الكريم اعتبر الإنسان محور هذا الكون وأن كل ما فيه مسخر لخدمته، وعلى الإنسان أن يحسن النظر في ملكوت الله، وأن يفكر في بديع صنع الله

(١) الحشر: ٧.

في الكون وفي الإنسان من غير حدود، كما دعاه إلى الاستقراء والملاحظة والتجريب، أما فيما يتعلق بالأمور الغيبية فلا مجال للعقل فيها، كما أن القرآن لا يحتقر المادة ولا الإبداع المادي، وإنما يجعل هذا اللون من التقدم والارتقاء الحضاري في ظل منهج الله.

- كما أن مسألة التحليل والتحريم تشريع إلهي لا مجال للعقل فيها، وأن مبدأ الحلال والحرام أساس من أسس عملية الضبط الاجتماعي في الإسلام، (ليقوم الناس بالقسط) وعلى الإنسان أن يميز بين غايات التشريع القرآني وغيره من التشريعات الأخرى ليدرك مدى الفرق بين التشريع الإلهي والتشريعات الوضعية.
- لقرآن الكريم وضع المعيار الأسمى للأخلاق الكريمة والآداب الفاضلة وبفضل توجيهاته حكم المسلمون العالم وقدموا للإنسانية نموذجاً فريداً من الحكم العادل والسياسة الرشيدة، لم تعرفه البشرية ولم يخطر لها على بال، وحقق للمسلمين سبقا حضاريا كبيرا.
- بفضل القرآن استطاع المسلمون أن يصمدوا أمام الغزوات والضربات الموجعة التي وجهت إليهم على مر العصور والأزمان، وما ذلك إلا بفضل تمسكهم بالقرآن ورجوعهم إليه في كل أمر من أمورهم.
- القرآن الكريم له أثره في القلوب، وله سلطان قوي على النفوس، لذلك كان المشركون يمنعون أبناءهم ونساءهم من سماعه خوفا منهم أن يستولي القرآن على وجدانهم ومشاعرهم، وليس أدل على وجود هذا الأثر من إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سمع القرآن، وكذلك إسلام سعد بن معاذ سيد الأوس وإسلام أسيد بن حضير بعد سماعهم للقرآن فلم يستطيعون مقاومة هذا الأثر في قلوبهم.
- إن سبب التخلف الذي لحق بالمسلمين هو التخلي عن القرآن الكريمة وتنحيتها عن مجال الحكم والسياسة والاقتصاد، وأن صلاح الحاضر الذي

ارتكست فيه الإنسانية اليوم لن يتم إلا عى ضوء الإيمان بالله وتحكيم كتابه.

- إنه لا راحة للبشرية ولا طمأنينة لهذا الإنسان ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة ولا شفاء للأدواء التي تعاني منها الإنسانية إلا بالرجوع إلى الله، والرجوع إلى الله يعني العودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذي رسمه في كتابه.

- إن القرآن دعا إلى وحدة البشرية والإخاء الإنساني فحقق تحرر الإنسان ودعا إلى التوحيد فحقق تحرر العقل، وبهذا التوحيد أقام للدنيا حضارة أساسها التقدم والرقي المادي والروحي، وطابعها أخلاقي يرى العدل الشامل لكل البشر.

- إن الإسلام دين ونظام إلهي يقي الحضارات الحديثة من الطغيان والتهور، ودفع الإنسانية إلى السير في طريق الفضيلة والتعمير والقضاء على الشرور والمفاسد وأن العلم البشري وحده لا يصلح أنفس الناس فلا بد من الوحي الإلهي الذي يخضع له الكبير والصغير، والغني والفقير، والقوي والضعيف، وآخر كتب الله إلى الأرض هو القرآن الكريم، فهو حجة الله على الناس يلزم اعتقاده، واتباع أحكامه لقطعية ثبوته وحفظه من التحريف والتغيير والتبديل.

لذلك أوصى بما يلي:

١ ـ ربط الناشئة بالقرآن وتعديل مناهج التعليم في جميع مراحله بحيث تتفق مع ما جاء به القرآن ولا يقتصر على منهج التربية الإسلامية المعمول به الآن.

٢ ـ العناية بالدراسات القرآنية في جميع الجامعات الإسلامية وكذلك الثقافة الإسلامية الأصلية المستمدة من تعاليم القرآن وهدي النبي صلى الله عليه وسلم وإنشاء معاهد متخصصة لدراسة القرآن الكريم في كل بلد إسلامي «معاهد للقراءات وتجويد القرآن».

٣ ـ العناية التامة باللغة العربية لأنها لغة القرآن، والعناية بدراسة التاريخ الإسلامي

دراسة واعية للوقوف على الأسباب التي أدت إلى انتشار الإسلام في أول عهده.

٤ ـ صياغة القوانين والنظم التي يحتكم إليها العالم الإسلامي اليوم وفق منهج القرآن الكريم ووضع نظام اقتصادي عادل يقوم على الابتعاد عن الربا والاستغلال والاحتكار.

٥ ـ وضع ميثاق أخلاقي مستمد من تعاليم القرآن الكريم تلتزم به كل وسائل الإعلام، لكي تقي الشباب من الانحراف والفساد، ولكي تتجنب الخوض في أعراض الناس.

٦ ـ الإلتزام بالحدود التي جاء بها القرآن والحزم في تطبيقها صونا لأمن المجتمع وسلامة أفراده.

«وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين»

ملخص

القرآن الكريم: هو الكتاب الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم وهو معجزته الخالدة تحدى الله به العرب فعجزوا، وتحدى به الإنس والجن فعجزوا. وما زال الإعجاز باقيا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وهو الكتاب الوحيد من بين سائر كتب الله الذي تكفل الله بحفظه.

وقد أنزله الله والعرب، بل العالم كله في أشد الحاجة إليه فأتاهم بالعقيدة الحقة بعد أن كانوا منها في أمر مريج، والشريعة الصحيحة بعدما تفرقت بهم الطرق، وتقطعت بينهم الأسباب، وأتاهم بالنظم الصالحة لبناء أمة قادرة على أن تسهم في بعث العالم ونهضته ووحدته، والأخلاق الفاضلة بعد أن سادت في المجتمع الجاهلي ـ بل في المجتمع الإنساني بصفة عامة ـ

الرذائل والمنكرات من ضلال في العقيدة. وفوضى في التشريع، وفساد في الأخلاق، فأحدث في العالم ثورة وانقلابا لم يشهد لهما التاريخ مثيلا من قبل.. ثورة في التفكير، ثورة في الأخلاق، ثورة في الحضارة، ثورة في المدنية، ثورة إصلاحية شاملة لكل مرافق الحياة الإنسانية، في كل بقعة من بقاع الأرض التي استظلت بظل الإسلام، كما قدم للإنسانية نموذجا رائعا للإنسان المتكامل في عقيدته وسلوكه وأخلاقه. فأقبل عليه الناس من جميع البقاع ومن كل الأجناس وربط القرآن بينهم برباط العقيدة وألف بين قلوبهم حتى أصبحوا بنعمة الله إخوانا متحابين وكانوا بذلك خير أمة أخرجت للناس، قادت العالم وعلمت البشرية قرونا طويلة.

ولا يكون المسلم مسلما حقا إلا إذا آمن بذلك كله، آمن بأنه على خير دين وأنه أوتي خير كتاب إلهي، وأن أمته خير أمة أخرجت للناس، وأن حضارته صلحت بها الإنسانية قرونا طويلة، ولا تزال صالحة لقيادة العالم إلى يومنا هذا، وهو الكتاب الوحيد الذي يستطيع أن ينقذ العالم من الحيرة والضلال والتخبط والاضطراب، لأنه يعترف لكل ذي حق بحقه، ولكل صاحب دين بدينه من غير تجاوز أو اعتداء.

ولن يعود للمسلمين عزهم ومجدهم إلا إذا عادوا من جديد إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم عند ذلك فقط يتحقق لهم ما ينشدونه من التقدم والحضارة والرقي والأمن والسلام، ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى القرآن ففيه وحده الشفاء من كل الأدواء التي تعاني منها الإنسانية اليوم.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

(الأنعام: آية ١٥٣)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ـ طبعة الشعب ـ القاهرة.

٣ ـ مختصر تفسير ابن كثير: للصابوني ـ دار القرآن الكريم ـ بيروت.

٤ ـ الكشاف: عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ـ دار المعرفة ـ بيروت.

٥ ـ في ظلال القرآن: للمرحوم سيد قطب ـ دار الشروق ـ بيروت ١٩٨٥.

٦ ـ البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين الزركشي ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ١٩٧٥م.

٧ ـ الإتقان في علوم القرآن: للإمام السيوطي ـ ط ٢ ـ الحلبي ١٩٥١م.

٨ ـ الوحي المحمدي: محمد رشيد رضا ـ المكتب الإسلامي ـ ط ٩ بيروت ١٩٧٩م.

٩ ـ النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن: د. محمد عبدالله دراز ـ تحقيق د/ عبدالصبور شاهين.

١١ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبدالعظيم الزرقاني ـ دار إحياء الكتب العربية ـ الحلبي.

١٢ ـ أخلاق أهل القرآن: للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجرى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٣ ـ نحو القرآن الكريم: د. محمد البهي ـ مكتبة وهبة القاهرة ١٩٧٦م.

١٤ ـ الدستور القرآني والسنة النبوية في شئون الحياة: محمد عزة دروزة ـ المكتب الإسلامي ١٩٨١م.

١٥ ـ المحاور الخمسة للقرآن الكريم: الشيخ محمد الغزالي ـ دار الوفاء القاهرة

١٩٨٩م.
١٦ ـ نظرات في القرآن: الشيخ محمد الغزالي ـ دار الكتب الحديثة ـ مصر ١٩٦١م.
١٧ ـ الأصلان العظيمان (الكتاب والسنة): جمال البنا ـ مطبعة حسان ـ القاهرة.
١٨ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري: للحافظ ابن حجر العسقلاني ـ دار المعرفة بيروت.
١٩ ـ صحيح مسلم بشرح النووي: دار إحياء التراث العربي ـ ط الثالثة ١٩٨٤م ـ لبنان.
٢٠ ـ زاد المعاد في هدى خير العباد: لابن القيم الجوزية ـ المطبعة المصرية ١٩٧٣م ـ ط ٣.
٢١ ـ البداية والنهاية: للحافظ ابن كثير مكتبة المعارف ـ بيروت.
٢٢ ـ الطبقات الكبرى: لابن مسعد ـ دار صادر ـ بيروت.
٢٣ ـ تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): مكتبة خياط ـ بيروت ـ لبنان.
٢٤ ـ الروض للأنف: للإمام السهيلي ـ دار الكتب الحديثة ١٩٦٧م.
٢٥ ـ الاشتقاق: لابن دريد الأزدي، تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون ـ مكتبة المثنى.
٢٦ ـ الأصنام: للكلبي، تحقيق الأستاذ أحمد زكي ـ الدار القومية للطباعة والنشر.
٢٧ ـ أخبار مكة المشرفة: روائع التراث العربي.
٢٨ ـ التاريخ الإسلامي العام: د/ علي إبراهيم حسن ـ مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٧م.
٢٩ ـ معجم البلدان: ياقوت بن عبدالله ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٣٠ ـ تهذيب سيرة ابن هشام: للأستاذ عبدالسلام هارون ـ دار الطباعة والنشر ـ

مصر.
٣١ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبدالباقي ـ دار الكتب المصرية.
٣٢ ـ أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها: عبدالرحمن حسن الميداني ـ دار القلم ـ دمشق ـ بيروت.
٣٣ ـ مقالات الإسلاميين: للأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ـ ط ٢ ـ ١٩٨٥م.
٣٤ ـ رسالة التوحيد: للإمام محمد عبده ـ دار إحياء العلوم ـ بيروت ط ٥ ـ ١٩٨٥م.
٣٥ ـ إظهار الحق: للإمام رحمة الله الهندي، تحقيق عمر الدسوقي ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت.
٣٦ ـ الإسلام عقيدة وشريعة: الشيخ شلتوت ـ ط ٣ ـ دار القلم ١٩٦٦م.
٣٧ ـ الدين (بحوث في تاريخ الأديان): د/ محمد عبدالله دراز ـ دار القلم ط ٢ ـ ١٩٧٠م.
٣٨ ـ الإسلام في عصر العلم: د/ محمد أحمد الغمراوي ـ مطبعة دار السعادة ١٩٧٣م.
٣٩ ـ الخصائص العامة للإسلام: د/ يوسف القرضاوي ـ مكتبة وهبة القاهرة ١٩٨٦م.
٤٠ ـ الإسلام في القرن العشرين (حاضره ومستقبله): عباس محمود العقاد ـ دار الكتب الحديثة ١٩٥٤م.
٤١ ـ ما يقال عن الإسلام: عباس محمود العقاد ـ دار الهلال ١٩٦٦.
٤٢ ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه: عباس محمود العقاد ـ دار النهضة مصر ١٩٥٧م.
٤٣ ـ أصول الفقه: للأستاذ محمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربي ١٩٥٧م.

٤٤ ـ تهافت العلمانية: د/ عماد الدين خليل مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٨٣م.
٤٥ ـ سموم الاستشراق والمستشرقين: للأستاذ أنور الجندي ـ مكتبة التراث الإسلامي في العلوم الإسلامية ـ القاهرة.
٤٦ ـ العلم يدعو للإيمان: كريس موريسون ـ ترجمة محمود صالح الفلكي ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ط ٥ يونيه ١٩٦٥م.